حوار كوني

٢.٥

ترجمة : منير السعيداني
تصميم : ندى المغلوث

نَذْر علم الاجتماع

زيغمونت باومن

من هي إيزابيلا بارلينسكا

تربية الأطفال

تامارا كاي

> النسوية والليبرالية
> النسوية الأوكرانية في خضم الفعل
> مستويات لأمان متفاقمة في أمريكا اللاتينية
> الطبقة الوسيطة الزنجية في كولومبيا
> في الوضع الحقيقي لعلم الاجتماع في روسيا
> علم الاجتماع البريطاني في زمن التقشف
> مؤتمر يوكوهاما
> جامعات إيطالية معروضة للبيع
> الجمعية الدولية لعلم الاجتماع والأمم المتحدة: الجريمة والعدالة الجنائية
> تحرير حول صورة فخ قاتل للمهاجرين
> النشر في المنتدى الإلكتروني

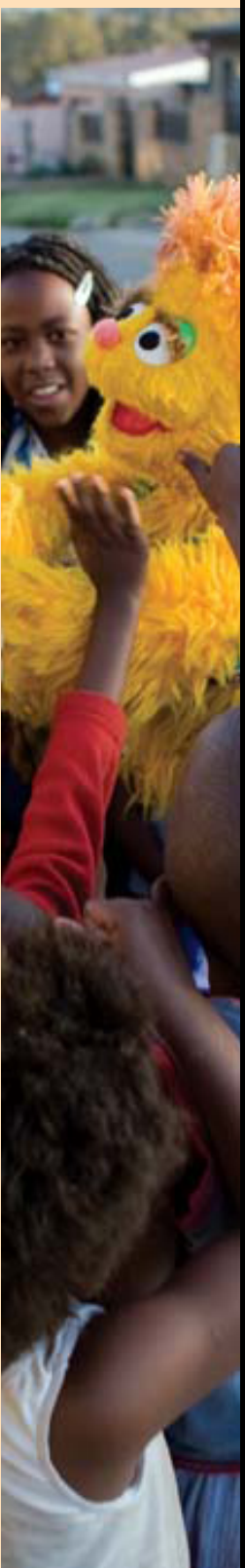

النشرة الإخبارية
لعدد ٥ من السلسلة ٢ - آب ٢٠١٢
GDN
International Sociological Association

> الافتتاحية

علم الاجتماع بوصفه نَذْرًا

ألقى ماكس فيبر محاضراته المُلْهَمة والمُلْهِمة، «العلم بوصفه نذْرًا» ("Science as a Vocation") و «السياسة بوصفها نذْرًا» بدعوة من طلبة ميونيخ خلال ١٩١٧ و١٩١٩. صهر كل تجربة حياته عالما وسياسيا ضمن هذه المحاضرات مطوّرا علم اجتماع النُذُور ولكنه لم يفحص مباشرة ما يَنْذُر له علم الاجتماع ذاته. تقتفي حوار كوني أثر ما خلّفه لتفتح سلسلة جديدة تحت عنوان: علم الاجتماع بوصفه نَذْرًا».

نبدأ مثلما يقتضيه المقام بزغمونت بَاوْمن (Zygmunt Bauman) الذي لا يرتاح للتقسيم الذي وضعه فيبر بين العلم والسياسة. على الضد من فيبر، يتحول العلمُ اليومَ بيُسْر بالنسبة إلى باومن إلى سياسة في شكل عقل متصرف فيما تنفصل السياسة عن السلطة. على علم الاجتماع بالنسبة إلى باومن أن يتجاوز الانقسام بين العلم والسياسة عبر فتح حوار متبادل مع الجمهور.

في هذا العدد ما يؤيّد مثل هذا الحوار المفتوح في ما تسرده السوسيولوجية البولونية الزميلة إيزابيلا بارلينسكا (Izabela Barlinska) عن المجتمع المدني في فترة (نقابة) تضامن (البولونية) وما تسرده تامارا كاي (Tamara Kay) عن مجريات أقلمة شارع سيزام مع سياسات بلدان مختلفة وثقافاتها وفي نداء كويشي هازيغاوا (Koichi Hasegawa) الذي أطلقه من أجل أن يحفّز علم الاجتماع الياباني حوارا عموميا حول أخطار القوة النووية. دفعت المناضلات النسويات منذ زمن الحوارَ العمومي من أجل التنديد بتهميش النساء والأقليات، وفي هذا العدد تصف تامارا مارتسنيوك (Tamara Martsenyuk) سياسات التعبير الشارعي التي تتخذها النسوية في أوكرانيا. وفي الأخير كان الحوار بين العلم والحركات الاجتماعية هو ما افتقده هربرت دوسينا (Herbert Docena) في مؤتمر الأمم المتحدة الأخير للتنمية المستدامة (ريو+٢٠) حيث دعا العلماء بدلا من ذلك إلى حياد مميز من أجل النفاذ إلى السلطة وهو ما يسقط حجة العقل التقنوقراطي التي يرفعها باومن.

ورد في ما كتب باومن أننا في حاجة إلى الحوار والآن على الخصوص في هذا الزمن المنساب الذي يميزه اللايقين واللاأمان. تتجاوب مقالاتنا في هذا العدد مع انشغالاته: تعمقُ الشعور باللاأمان في أمريكا اللاتينية (كيسلر Kessler)، تبعاتُ العنصرية على الكولومبيين أفريقيي الأصول (فيغويا Vigoya)، والجهود التي تبذلها الأمم المتحدة من أجل معالجة العنف الموجّه ضد المهاجرين (باربرت Barbaret) والكيفية التي تتورط بها دولة الولايات المتحدة الأمريكية فيه (إيلسيوغلو Elcioglu). يشير رومانوفسكي (Romanovsky) وتوشتشنكو (Toshchenko) إلى علم اجتماع روسي جديد يقارع لاأمان الاقتصاد ما بعد السوفياتي. أخيرا، تجتاح الهشاشة الجامعات الآن، الطلاب والكليات سواء بسواء في العديد والعديد من المناطق مثلما تصف ذلك كورارادي (Corradi) بالنسبة إلى إيطاليا. وما دام علم الاجتماع يوثّق أوضاع اللاأمان هذه، ومادامت هذه تثير الاحتجاجات مثلما يتأكّد ذلك واقعا فبإمكاننا مواصلة عقد الأمل.

على أثر هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، وعلى الرغم مما كان يغمره من التشاؤم حول المستقبل الذي بدا له مثل «لَيْل قُطْبِيٍّ ثَلْجِيٍّ الظُّلْمَة»، اختتم فيبر محاضرته «السياسة بوصفها نذرا» بحركة مُورِقَة تفاؤلًا: بغيَة إنجاز الممكنَ لا بد من العمل على بلوغ المستحيل. إن التقدم نحو المستحيل كما لو كان ممكن البلوغ لواحدةٌ من أنبل مهمات علم الاجتماع، وهو يعيد، على خلاف المتوقّع، العلم إلى السياسة وهذه إلى ذاك. وعليه، فإن فيبر وباومن يجمع الواحد منهما قوته إلى قوة الآخر.

تظهر حوار كوني خمس مرات في السنة في ثلاثة عشر (١٣) لغة. هي متوفرة على موقع الجمعية الدولية لعلم الاجتماع ISA website.. ترسل المواد إلى العنوان التالي: burawoy@berkeley.edu

حول نذور علم الإجتماع في الحداثة المنسابة. في هذه المقالة الجديدة حول «نذور علم الإجتماع،» زغمونت باومن، عالم إجتماع الحداثة الأيقوني، يكشف عن معنى علم الإجتماع بالنسبة إليه، والتوجيهات التي ينبغي أن تأخذها، وتلك التي ينبغي أن تتجنبها.

من هي إيزابيلا بارلينسكا؟ في هذا اللقاء، تروي إيزابيلا بارلينسكا عن تاريخها مع الجمعية الدولية لعلم الاجتماع (ج.د. ع اج)، كيف وجدت نفسها في المنفى من بولندا في فترة ما بعد التضامن، قبل إلقاء القبض عليها من قبل الجمعية الدولية لعلم الاجتماع.

تربية الأطفال في أكثر شوارع العالم طولا. تامارا كاي تصف عملية التفاوض الإجتماعي والتحول الذي وصل شارع سيزام (Sesame Street)، برنامج الأطفال التعليمي الناجح، إلى العديد من البلدان.

> فريق التحرير

رئيس التحرير:
مايكل بورواي

المحرران المسؤولان:
لولا بوسوتيل، أوغست باغا

محررون مشاركون:
مارغرت أبراهام ، تينا إيوس، راكال سوزا، جينيفر بلات.
روبارت فان كريكن

محررون مستشارون:
إيزابيلا بارلينسكا. لويس شوفال، ديلاك سيندوغلو، توم دوبير، جان فريتز، ساري حنفي، جيم جيمينيز، حبيب الله خنكدر، سيمون مابادیمنغ، إيشوار مودي، نيكيتا بوكروفسكي، إيما بوريو، يوهيميشي ساتو، فينيتا سينها، بنيامين تيجيرينا، شين شان يي، إيلينا زدرافوميسلوفا

محررون جهويون:

العالم العربي:
ساري حنفي، منير السعيداني

البرازيل:
غوستافو تانيغوتي جوليانا تونش، بيدرو مانسيني، فابيو سيلفا تسونودا، ديميتري سيربوتسيني فرناندیس. أندريزا غالللي، يرناتا باريتو بريتورلان.

كولومبيا:
ماريا خوزي ألفاراز ريفادولا، سيباستيان فيلاميزار سانتاماريا، أندريس كاسترو آراوخو

الهند:
إيشوار مودي، راجيف غوبتا، راشمي جين، أودي سينغ

إيران:
ريحانة جافادي، شهراد شاهفاند، فاطمة موغاديسي، ساغار بوزورغي. جلال كاريميان، نجمة طاهري

اليابان:
كازوهيسا نيشيهارا، ماري شيبا، يوشيبا شيوتاني، كوسوكي هيمينو، توميهيرو تاكامي، يوتاكا إيواداتي، كازوهيرو إيكيدا، يو فوكودا، ميشيكو سامبي، تاكاكو ساتو، شوهي أوغاوا، توموبوكي إيدي، يوكو هوتا، يوسوكي كوزاكا

بولونيا:
ميكولاي ميزويسكي، آنا بيكوتووسكا، كارولينا ميكولايوفسكا، جاكوب روزنباوم، ميشال شيلمنسكي، إيميليا هودزينكا، جوليا ليغات، ميكولاي نيزينسكي، آنا رزينيك، كونراد سييماسكو، أنا بيكوتوسكا، ووجتاك بييرشوك، آدام مويللر، صوفيا ولودارشيك

روسيا: إيلينا زدرافوميسلوفا، أنا كادنيكوفا، إيلينا نيكوفوروفا، آسيا فورونكوفا

تايوان:
جينغ ماو هاو

تركيا:
آيتل كازابوغولو، نيلاي شابوك كايا، غونور إيرتونغ، يونكا أوداباش، مصطفي أيكوت أتار

مستشارون إعلاميون:
آني لين، خوزي ريغويرا.

> في هذا العدد:

الافتتاحية – علم الاجتماع بوصفه نذرًا ٢

حول نُذُورِ علم الاجتماع في الحداثة المُنْسَابَة
بقلم زيغمونت باومن، المملكة المتحدة (Zygmunt Bauman) ٤

من هي إيزابيلا بارلينسكا؟
مقابلة مع الكاتبة التنفيذية للجمعية الدولية لعلم الاجتماع، إسبانيا ٦

> معالجة المستقبل

التعليم في أكثر شوارع العالم طولا
بقلم تامارا كاي (Tamara Kay) **، جامعة هارفارد، الولايات المتحدة** ١٠

مواقف منحازة في ريو + ٢٠
هربرت دوسينا (Herbert Docena)**، الفيليبين** ١٢

> النسوية اليوم

النسوية والنيوليبرالية
بقلم سيلفيا والبي (Sylvia Walby)**، المملكة المتحدة** ١٥

النسوية الأوكرانية في خضم الفعل
بقلم تامارا مارتسنيوك (Tamara Martsenyuk)**، أوكرانيا** ١٧

> التنضيد الاجتماعي في أمريكا اللاتينية

مستويات لأمان متفاقمة في أمريكا اللاتينية
بقلم غابريال كيسلر (Gabriel Kessler)**، الأرجنتين** ١٩

الطبقة الوسيطة الزنجية في كولومبيا
بقلم مارا فيفروس فيغويا (Mara Viveros Vigoya)**، كولومبيا** ٢١

> علوم الاجتماع الوطنية

في حقيقة وضع علم الاجتماع في روسيا
بقلم ن.ف. رومانوفسكي (N.V. Romanovsky) **و ز.ت. توشتشنكو** (Zh.T. Toshchenko)**، روسيا** ٢٣

علم الاجتماع البريطاني في زمن التقشف
بقلم جون د. بريور (John D. Brewer)**، المملكة المتحدة** ٢٥

مؤتمر يوكوهاما: جسر ممتد نحو عالم أكثر تساويا
بقلم كويشي هازيغاوا (Koichi Hasegawa)**، اليابان** ٢٦

جامعات إيطالية للبيع
لاورا كورارادي (Laura Corradi)**، إيطاليا** ٢٨

> أعمدة خاصة

الجمعية الدولية لعلم الاجتماع والأمم المتحدة: الجريمة والعدالة الإجرامية
بقلم روزماري بابرت (Rosemary Barberet)**، الولايات المتحدة الأمريكية** ٣٠

مقالة في صورة: فخ قاتل للمهاجرين
بقلم أمين فيدان إيلسيوغلو، الولايات المتحدة الأمريكية ٣١

أَمُهْتَمٌّ أَنْتَ بنشر ندوة م د ع اج الألكترونية؟
بقلم جينيفر بلات (Jennifer Platt)**، المملكة المتحدة** ٣٢

> في نَذْر علم الاجتماع

في الحداثة المُنْسَابة

بقلم زيغمونت باومن (Zygmunt Bauman)، جامعة ليدز، المملكة المتحدة

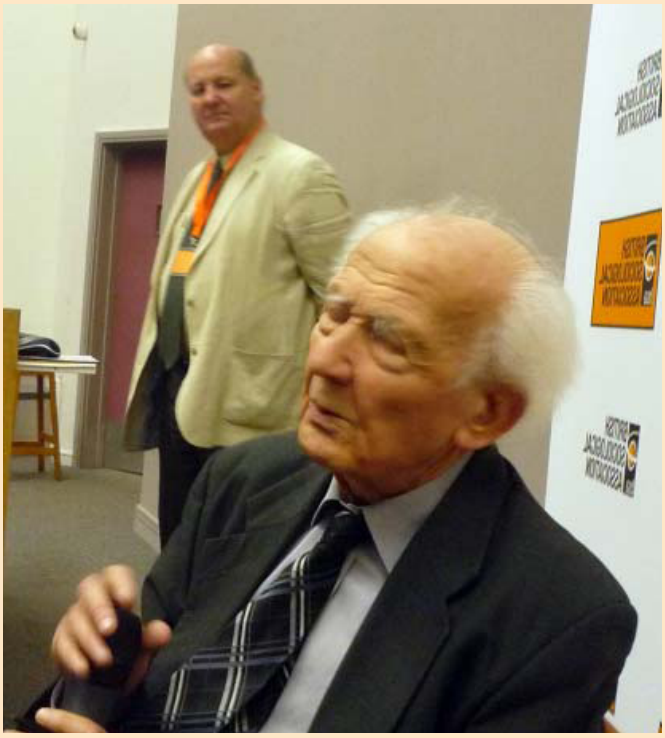

قدم زغمنت باومن من قبل جون برووير، رئيس جمعية علم الاجتماع البريطانية، ليدز، ١٢ نيسان ٢٠١٢.

بات زغمونت باومن عالم اجتماع الحداثة الإيقوني. ولد في بوزنان (Poznań) ببولونيا سنة ١٩٢٥ وكان شيوعيا ملتزما لسنوات عديدة. كان عالم اجتماع مرموقا في جامعة فرصوفيا ثم أُجبِر على مغادرة بولونيا سنة ١٩٦٨ نتيجة حملات التطهير المعادية للسامية. حصل على موقع دائم في قسم علم الاجتماع في جامعة ليدز سنة ١٩٧١ حيث مكث إلى الآن. طورت الكتب التي جعلته شهيرا في السنوات ١٩٨٠ و١٩٩٠ نقدا للحداثة بوصفها عقلانية مفرطة شهدت أشكالها القصوى في المحرقة أو الستالينية وبصفة أعم في عجز العقلانية على التعامل مع الغرباء (غير المنتمين). يعالج مشرّعون ومؤوّلون (Legislators and Interpreters)، أحد كتبه الأساسية، الطرق الإشكالية التي تقيّد عبرها المثقفون بالعقلانية الحداثية كما تلك الطرق التي يمكن أن تمكنهم من الإفلات منها. ولئن كانت كتبه المبكرة نقدا للحداثة الأولى تلك التي يسميها هو الآن الحداثة الصلبة التي تتجسد في التراتبات والتنظيم فقد شهدت السنوات العشر الأخيرة دفقا متصلا من الكتب حول الحداثة المنسابة (liquid)، حول عالم من اللايقين واللاأمان غير المسبوقيْن. كل يوم، يصير زيغمونت باومن أكثر خصبا وأكثر تنبؤا وأكثر تأثيرا، ويفتتح كأنسب ما يكون ركننا الجديد حول «علم الاجتماع بوصفه نَذْرًا».

منذ مائة عام تقريبا، في ذروة «الحداثة الصلبة» (مُصِرّة، مثلما كانت، على تشييد نظام اجتماعي متحرر من المخاطر والاختلالات التي خيّمت على المجتمعات الغربية منذ انساقَ «النظام القديم» إلى سَكَرَات مَوْته وانطلاق بدايات التحديث المقامرة والمفرطة والإدمانية الحقيقية التي قدحت زنادها) اقتحم علم الاجتماع المركّبات الجامعية جالبا معه وعدا بخدمة العقل المتصرف الذي افترض فيه تحمل مسؤولية مَهَمّة بناء ذلك النظام. بعد ما يناهز المائة عام تقع الآكاديميا، التي وجد فيها علم الاجتماع ملاذا آمنا، تحت دفع عدد من القوى وحثها وضغطها وتوجيهها حتى تكون مفيدة «لمصالح الأعمال» المنزاحة إلى التركيز على حقل متصرف يواكب الحال. قد يكون التغير العميق مس الشعارات والحجج ولكن استراتيجيات البحث والتدريس وأغراضهما التي أوحت بها لم تتغير.

ونتيجة لذلك سيجد علم الاجتماع الآكاديمي نفسه ضعيفا إذا ما أجبر على اقتفاء آثار العالم المتحول وهو ما يمكن أن يسبب الفشل فيه فقدان الوظيفة السوسيولوجية صلتها به ومناسبتها للفضاء العمومي الراهن مثلما حسّس منذ أكثر من عقد من الزمان بذلك مايكل بورووي وناطقون آخرون باسم المهنة متبصرون وذوو ضمائر حيّة.

توفر الطرق والوسائل المتبعة في جامعاتنا حماية ضد نداءات من هذا القبيل مهما كانت حدتها وإلحاحها وصرامتها. بفضل ما تأسس من إجراءات التخرج والترقية وتدوير الأطقم والتجدد وإعادة الإنتاج الذاتيين يمكن لعلم الاجتماع أن يتمسك إلى أبعد مدى بشكله الراهن وبأسلوبه متغافلا عن «العالم المتغير» وعن الطلب العمومي المتضائل والمتبخر للخدمات ذات الشكل والأسلوب المناسبين لما تدرب عليه و

>>

نُدبَ له. كما يعني ذلك أيضا التغاضي عن مجموعة من مختلف أنواع الطلب المتصاعد يمكن لعلم الاجتماع أن يصير قادرا على تلبيتها شريطة تغيير شكله وأسلوبه السائدين في اتجاه التواؤم مع العقلية المتصرفة (managerial) والتكنولوجية من ذلك النوع الذي يسارع الآن بالتقهقر إلى الماضي. تشتد الحاجة إلى هذه الخدمات في عالمنا متصاعد الاضطراب والخوصصة والفردانية هذا ولكن وطالما كانت الاستجابة لها شحيحة فيستحسن أن تُرَدّ إلى ما يسميه أنوتني غيدنز (Anthony Giddens) «سياسات الحياة» أي إلى ما تضعه الحياة من المهام المتزايدة على كاهل الرجال والنساء مع وجوب «البحث عن حلول فردية للمشاكل المنتجة اجتماعيا» على الصورة التي أجاد بها أولريش بيك (Ulrich Beck) تلخيص التحدي الأكبر الذي تواجه به الأزمنة «الحديثة المنسابة» الأجيال المعاصرة.

على امتداد أكثر من نصف قرن من تاريخه القريب وبسبب سعيه إلى أن يكون في خدمة العقل المتصرف كافح علم الاجتماع من أجل تأسيس موقعه بوصفه علمًا-تقنيةً للاّحُرِّيَة) على الصورة التي أجاد بها أولرا (un-freedom RWA، no offical)، أي بوصفه ورشة مصممة لوضع الموارد الاجتماعية التي تمكّن نظريا ولكن، وهو الأكثر أهمية، عمليا أيضا، من حل ما عبّر عنه تالكوت بارسونز (Talcott Parsons) بفصاحة عالقة بالأذهان بوصفه «المسألة الهوبزية»، تلك التي تتعلق بالكيفية التي يمكن بها التوجه نحو الناس، وهم من وهبوا حرية الإرادة وابتلوا بها، بالإقناع والإجبار والتملق وتعبئتهم عَقَائديا نحو الركون إلى التوجيه نحو اتباع سياقات فعل قابلة للتعديل ومتوقعة النتائج عادة يهندسها مشرفون على النظام الاجتماعي أو مراقبون له، أو بالكيفية التي يتم بها التوفيق بين الإرادة الحرة والاستعداد للخضوع لإرادة الغير مما ينجر عنه رفع الميل نحو «العبودية التطوعية»، ذاك الذي أشار إليه لابويسي (La Boétie) قبل أوانه وعلى مشارف الحقبة الحديثة، إلى مصاف المبدأ الأعلى للتنظيم الاجتماعي. اختصارا في القول: كيف يمكن جعل الناس يحبون ما يفعلون فيما ينجزون ما يتوجب عليهم القيام به؟

في مجتمع اليوم، ذاك الذي قُدِّرَت عليه الفردانية، بما ساعدت عليه و تورطت فيه الثورة المتصرفة الثانية (المتمثلة أساسا في المتصرفين الذين «يرهنون» مهامهم المتصرفة بما يريده المتصرف له) يواجه علم الاجتماع فرصة مثيرة ومبهجة للتحول وليتبدل نحو علم-تقنية للحرية، أي للطرق والوسائل التي عبرها يمكن للأفراد الكائنين بسلطة قرار الأزمنة الحديثة المنسابة وقانونها أن يرتقوا إلى مصاف الأفراد الكائنين اختيارا وفعلا. وإذا ما استعدنا عبق النداء الذي وجهه جيفري ألكسندر (Jeffrey Alexander) لامتشاق الأسلحة قلنا إن مستقبل علم الاجتماع، ومستقبله المباشر على الأقل يرتبطان بالجهد الذي يجب أن يبذل من أجل إعادة تقمص دوره وإعادة تأسيس موقعه بوصفه سياسات ثقافية (cultural politics) في خدمة حرية الإنسان.

كيف يمكن تحقيق هذا العبور؟ ما الإستراتيجية الواجبة الاتّباع في ذلك؟ تتمثل الإستراتيجية في خوض حوار وإدامته مع «الدوغما» أو «معرفة الفاعلين» (تلك التي أنكر عليها علم الاجتماع المتناغم مع العقل المتصرف ذي النمط القديم قيمتها المعرفية وشرع في «كشف زيفها» وفي «قلعها» و«تصويبها») مع مراعاة المبادئ التي اقترحها مؤخرا ريتشارد سينيت (Richard Sennett) في مقاله عن المعنى الراهن «للإنسية»: مبادئ اللاّنمطية والانفتاح والتعاون. تعني اللانمطية أن قواعد الحوار لا تكون مسبقة الوضع بل تتبع في سياقه. ويعني «الانفتاح» ألاّ يدخل أحد الحوار متيقنا من حقيقته-حقيقتها محاولا (ة) العمل على إقناع الآخرين (الحاملين مبدئيا للأفكار الخاطئة). ويعني «التعاون» أن كل المشتركين في الحوار يكونون بالتناوب معلمين ومتعلمين فيما لا يكون فيهم خاسر ولا رابح... يكون الثمن الذي يمكن أن يدفعه الجميع جراء تغافلهم عن هذه النصيحة وجود علم الاجتماع (علم اجتماعهم هم جميعهم) خارج السياق.

راهنا، وفيما باقي المجتمع تحركه ديناميات مدعوة إلى فك الارتباط والتعلق، ومثلما أشارت إلى ذلك كيث تيستر (Keith Tester) من جامعة هول (Hull)، يعيش علم الاجتماع حقبة من «الفراغ السلطوي» تظهر فيها الطرق القديمة التي كانت تنجز بها الأشياء يوميا عدم مناسبتها فيما لم تبلغ بعدُ الطرق الجديدة والأكثر نجاعة من سابقتها التي تأمل في تعويضها مرحلة التخطيط. هذا زمن يمكن فيه لكل شيء أو لكل شيء تقريبا أن يحدث ولكن لن يكون من ذلك إلاّ النزر القليل إذا ما قُدّر أي أمر على أنه يقيني أو حتى ذو نجاح عالي التوقع. أشتبهُ في أن الإقدام علىَ وَقْع الوجهة الذي نحوها نتحرك في ظل مثل هذه الظروف (بل حتى الوجهة التي نحن ملزمون ببلوغها على ضوء الظروف) عمل غير مسؤول ومضلل بما أن ما يعرّف تلك الظروف تحديدا هو استحالة القيام بما يمكّن من بلوغ جذور المشاكل الحديثة-المنسابة وكذا غياب التمفصلات القادرة على الاضطلاع بها والنظر من خلالها.

ولكن ذلك لا يعني أن علينا التوقف عن المحاولة بل يعني، وفيما لا نكف عن ذلك، أن نتعامل مع كل محاولة ناجحة على أنها وضع انتقالي أي تجربة أخرى تحتاج إلى المزيد من الاختبار قبل إعلانها «وجهة نهائية» أو «إنجازا» أو «وفاء بنذر». ■

> من هي إيزابيلا بارلينسكا

في الجمعية الدولية لعلم الاجتماع (ج.د. ع اج)، الكل يعرف اسم إيزابيلا بارلينسكا (Izabela Barlinska) وهي تعرف الجميع تقريبا. ناجعة الفعل ومبدعة، مخلصة ومتفانية، عذبة القول ولكن مصممة ارتبطت إيزابيلا بج د ع اج مدة ٣٥ عاما. حاذقة للعديد من اللغات من بينها الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والروسية ولغتها البولونية الأم احتلت المقعد الحامي في ج د ع اج مديرةً العملياتِ من مدريد. مستعينة بمساعديْها المخلصين ناتشو (Nacho) وخوانَ (Juan) تتعامل مع كل الملفات من المالية إلى العضوية، ومن تكريس دقائق لنصح لجان البحث والجمعيات الوطنية، إلى برمجة اجتماعات متعددة ومتزايدة التعقيد وتنظيمها. يدين نواب الرؤساء والرؤساء لمعرفتها وحكمتها. وهي تنجز كل ذلك بتواضع ولباقة وبحس ساخر هادئ.

أصبحت سكرتيرة ج د ع اج التنفيذية سنة ١٩٨٧ وتحت إشرافها صارت الجمعية أقوى فأقوى موسعة من عضويتها من ١٢٠٠ إلى ما يزيد عن ٥٠٠٠ عضو اليوم وبما يشمل نحو ٥٥ جمعية وطنية و٥٥ لجنة بحث. بدأت مسيرتها مع ج د ع اج عندما كانت طالبة شابة في فرصوفيا ثم انتقلت معها من كندا إلى هولاندا ثم إلى إسبانيا. في تلك الأثناء كتبت رسالة الدكتورة ونشرتها في كتاب بالإسبانية تحت عنوان المجتمع المدني في بولونيا و(نقابة) تضامن. تقول: بما أني كنت في المعارضة البولونية فقد بذلت أقصى جهد بحيث أحافظ على صمتي في العديد من الأوضاع الحرجة التي لم يكن لي من بُدٍّ إلا مواجهتها في وضعيتي الصعبة تلك.

حاورها مايكل بوروواي في مدريد في السابع والعشرين من سنة ٢٠١١. ننشر أدنى هذا الجزء الأول من الحديث الذي يصف خروجها من بولونيا وسنواتها الأولى في ج د ع اج، وسيظهر الجزء الثاني في العدد القادم من حوار كوني معالجا تركيز الجمعية في مكاتبها في مدريد بعد توليها الكتابة التنفيذية.

إيزابيلا بارلينسكا، محاوطة بخوان لجرجي، في مكتب الجمعية الدولية لعلم الإجتماع، في جامعة مدريد.

م.ب. إيزابيلا، كيف انتهيت عمليا إلى الالتزام مع ج د ع اج والاضطلاع بهذا العمل الرائع والمكلف؟

إ.ب: حسنا لم يكن ذلك إلا واحدا من حوادث الأيام تلك. كانت البداية مع خالتي ماغدالينا سوكولوسكا (Magdalena Sokolowska) التي كان عضوا في اللجنة التنفيذية لج د ع اج. كنا في الربيع لأنني أذكر أنني كنت منشغلة في امتحاناتي في جامعة فرصوفيا. هاتفتني طالبة مني أن أحضر خلال اليومين أو الثلاثة أيام الموالية لأنها كانت بصدد التحضير لمؤتمر دولي وكانت في حاجة إلى المساعدة. كانت في حاجة إلى فتاة صغيرة لمساعدتها في ما تَعْلَمُ من المهام: استقبال الحاضرين في المطار ومرافقتهم إلى النزل ومتابعة ما يستجد للبضائع المفقودة ومثل هذه الأشياء.

م.ب. لماذا دعتك أنت بالذات؟

إ.ب. لأنني كنت أحذق الروسية والإنجليزية وكنت على مقربة منها. ولكن كان لدي امتحان في اليوم الموالي ولذا كان الأمر معقدا بعض الشيء. ولكن أبي قال لي أنه علي أن أقوم بذلك. من تكونين حتى تقولي لا؟ إذا ما كنتَ في العشرين فأعتقد أن عليك أن تطيع أبويك. وعليه فقد وجدت نفسي في اليوم الموالي واقفة في المطار. أذكّرك أنها كانت بولونيا، بولونيا الشيوعية بكل مصاعبها حيث لا أحد يتكلم لغات أجنبية. على كل كنت هناك أنتظر في المطار قائمة بما طلب مني أن أفعل فيما كنت أراجع دروسي للامتحان. ولكن يبدو أن نوعا من الودّ المتبادل نشأ بيني وبين كورت حوناسون (Kurt Jonassohn) وسيلين سان بيير (Céline Saint-Pierre) الذين كانا حينها الكاتبين التنفيذيين للج د ع اج وكانت الكتابة التنفيذية في مونتريال. قالا لي: اسمعي في الصائفة المقبلة ننظم مؤتمرا دوليا لعلم الاجتماع في أبسولا في السويد وننتظر أن يحل العديد من المشاركين من أوروبا الشرقية وعلى الخصوص من روسيا. وبما أننا تعرفنا عليك بعدُ وبما أنك تتكلمين الإنجليزية والروسية فربما رغبت في الاشتغال معنا؟.

م.ب. كانت تلك ولا شك دعوة مغرية.

إ.ب. بالتأكيد. تخيل أن يرد عليك عرض للذهاب للعمل شهرا في السويد. لم أقلّب الأمر على أكثر من وجه. أجبت: نعم يسعدني الذهاب. حملني أولف هيملستراند (Ulf Himmelstrand) الذي كان يُتَهيّئ لانتخابه رئيسا لج د ع اج في المؤتمر (١٩٧٨) في عبّارة. وصلت إلى هناك عبر الطريق الأبخس ثمنا الذي كان يمكن لك سلوكه للحلول من بولونيا خارقا بحر البلطيق على عبّارة. قضيت شهرا في أوبسولا مشتركة في وضع البرنامج، ثم وطوال أسبوع المؤتمر وضعوني في المكتب في ما سمي «الشكاوى العامة».

حسنا لم يكن لي أن أحصل على بداية أفضل في ج د ع اج. لم أكن أعلم شيئا عن الجمعية ولكن كان علي حينها أن أحل مشكلةَ جدّة فقدت حفيدها الذي كان ولا شك خرج في جولة إلى ستوكهولم. حسناً يمكنك أن تتخيل بيسر ما يمكن أن يحدث في «الشكاوى العامة».

ولكن يبدو أنني كنت ناجحة إلى حد بعيد في عملي إذ تلقيت بضعَ سنوات بعد ذلك رسالة من كورت جوناسون وسيلين سان بيير يعلمانني فيها أن لديهما بعض المنح الصغيرة لفائدة طلاب يساعدونهما على تحضير المؤتمر الدولي لعلم الاجتماع في مكسيكو سنة ١٩٨٢ ويسألانني إن كنت أرغب في الذهاب إلى مونتريال في نهاية سنة ١٩٨١. بالتأكيد قلت، رائع. نصف سنة في كندا في بعثة دراسية من كان ليرفض ذلك؟ قدّمت أوراقي للحصول على جواز سفر ولم يكن الحصول عليه في بلد شيوعي أمرا هينا. ولكني حصلت عليه وكنت مستعدة للذهاب.

م.ب. ولكن كان ذلك زمن تضامن، وكانت بولونيا في اضطراب، أليس كذلك؟

إ.ب. نعم كانت تضامن جزءا مهما من حياتي. كنت منذ سنوات المعهد على اتصال بالمعارضة السياسية أو مشتركة فيها، والحقيقة أن ذلك كان بفضل أستاذة تاريخ ممتازة تلقيت دروسي على يديها في المعهد. اعتادت دعوتنا إلى منزلها لمناقشة الواقع البولوني والتاريخ الأوروبي في رواية شديدة الاختلاف عن الرواية الرسمية التي كنا نتعلمها في المعهد. عبرها هي وعبر ذلك المنتدى اتصلت بأناس كانوا في المعارضة السياسية الآخذة بالانبناء في بولونيا حينها. ومنذ أن وطأت قدماي المكان لم أبرحه أبدًا.

عندما انطلقت الإضرابات سنة ١٩٨٠ إذًا كان دوري هو التحدّث إلى الصحفيين الأجانب الذين يحلون ببولونيا وعندما فرض قانون الطوارئ على بولونيا، الثالث عشر من ديسمبر سنة ١٩٨١ سيئ الصيت، وقعت في ورطة. اقتحم البوليس منزلي مفتشا عن أوراق. أخذوا آلتي الكاتبة وحطموا هاتفي بسبب ارتباطي الواضح بالمحطات التليفزيونية الأجنبية والصحفيين الأجانب على ما أظن. وُضِعَت رحلتي إلى كندا في ديسمبر ١٩٨١ موضع شك وانتظار وكانت مُهَدَّدَةً بالكامل. ولكن وبعد بعض الوقت زعمت الحكومة البولونية أن الحياة استعادت نسقها الطبيعي وأن الشعب حاز حريته. وضمن تلاعبهم السياسي شرعوا في فتح الحدود.

كان على كل الناس أن يعيدوا جوازات سفرهم عندما فرض قانون الطوارئ، وحينها، بعيدا عن كل مأمول، تمت مهاتفتي في مارس ١٩٨٢ «جواز سفرك موجود عندنا، لماذا لم تأت لتسلُّمه». كنت قد حصلت بعد على فيزا كندية وكان كل شيء معي ولكن لم أشأ أن أذهب. كانت لي محادثة مطولة مع قادة حلقات المعارضة. قالوا لي إن علي الذهاب لأنني سأكون أكثر نفعا في الخارج مما أكون عليه في بولونيا. ذهبت إذا ولكن من دون كبير ابتهاج لأني كنت أعتقد أن مكاني كان في بولونيا. وعندما حللت بكندا كان الكل يعتقد أنني كنت سأطلب على الفور اللجوء السياسي. ولكن ذلك أبعد ما كنت أرغب فيه. كانت تلك معركتي وكان ذلك جوازي وأنا كنت هناك. كانت تلك هي إذا الطريقة التي بدأت بها العمل في كتابة ج د ع اج في مونتريال حيث كان الجميع ودودا ومضيافا بشكل رائع. هناك صرت صديقة مقربة من جاك دوفني (Jacques Dofny) وآلان توران (Alain Touraine) الذين كانا نائبي رئيس ج د ع اج. والحقيقة أنني كنت قد تعرفت بعدُ على

آلان توران منذ زمن إضرابات تضامن في بولونيا. كانت تلك هي بداية حياتي مع ج د ع اج.

م.ب. قبل مغادرتك كندا كانت لك صلة أخرى بج د ع اج عندما زار أولف هيملستراند.

إ.ب. كان مبعوثا من ج د ع اج للاطّلاع على الأوضاع الجارية في بولونيا. كان شتاء ١٩٨٢ قارس البرودة. وكانت الدبابات في كل مكان في فرصوفيا وكان العسكريون يراقبون كل شيء. ذهبت إلى المطار لاستقبال أولف. جلنا في الشوارع والتقينا علماء اجتماع مختلفين. واعتقدنا حينها أن تقرير أولف كان تام الانسجام وهو ما كانت الحكومة لتسعدَ بقراءته. ولم أفهم إلا لاحقا أنه كان عليه أن يكون كثير الدبلوماسية وحريصا على عدم الإضرار بمصادر معلوماته من علماء الاجتماع البولونيين.

م.ب. كيف كانت اللجنة التنفيذية لج د ع اج في تلك الأيام تتعامل مع الحرب الباردة؟

إ.ب. كانت حريصة على الموازنة بين الجانبين. أعتقد أنهم كانوا يعلمون أن مشاكل قد تحصل ما لم يكن أحد من الاتحاد السوفييتي عضوا في اللجنة التنفيذية. في هذا المنحى أنا أرى أن انتخابات اللجنة التنفيذية وتركيبتها كانت سياسية بكل تأكيد.

م.ب. ذهبت إلى مونتريال إذا للتحضير لمؤتمر مكسيكو العالمي لسنة ١٩٨٢ وبعد مكسيكو التحقت بج د ع اج بشكل دائم.

إ.ب. نعم. في مكسيكو انتخب فرناندو هنريكي كاردوزو (Fernando Henrique Cardoso) رئيسا وكان قرار نقل الكتابة الكتابة إلى أمستردام قد اتخذ بعدُ. ذهبت إلى هناك للعمل تحت إمرة الكاتب التنفيذي الجديد عالم الاجتماع فيليكس جيير (Felix Geyer). مكثنا في أمستردام لأربع سنوات. كانت تلك الأزمنة التي كان على ج د ع اج أن تكون في ضيافة جامعات خصوصية وممولة من طرفها. لذا كانت لنا مكاتب في جامعة أمستردام.

م.ب. في تلك الأثناء كانت لك انشغالات أخرى غير ج د ع اج؟

إ.ب. حسنا كان علي أن أنضج في وضعيتي الجديدة وبدأت بالفعل ألتقي كل أولئك المعارضين المشهورين الذي كانوا غادروا بولونيا في أمريكا الشمالية أولا ثم في أمستردام التي كانت على كل حال أقرب إلى بولونيا وشرعت أكتب حكاياتي الصغيرة. كان ذلك نوعا من الوجود المزدوج غير اليسير على الدوام ولكنه كان مثيرا. كانت ثورة جيلي وكنت في الحقيقة موفورة الحظ بالحصول على فرصة المشاركة فيها. أنا أعني ما أقول تماما على الرغم من كل الآثار التي انجرت عن ذلك. تأمّل ما حدث: مرت ثلاثون سنة وها نحن «بلدان حرة». لقد أنهينا وجود النظام.

م.ب. نعم لقد كانت تضامن بداية النهاية. ولكن ما كانت نظرتك لذلك النظام؟ لم تسعي أبدا إلى اللجوء؟ لمَ لا؟

إ.ب. لم يدر بخلدي أبدا أن أسعى إلى اللجوء بما أن ذلك كان يمكن أن يجر آثارا على عائلتي. ولكني كذلك فكرت كثيرا في نقل آرائي حول بولونيا إلى من لم يعرف الشيوعية حقا. كنت أرغب في التأكيد على أهمية المقاومة، وعلى أن ما كنت أفعله وما كنت عليه كان صائبا ولكن النظام لم يكن قد سقط تماما. نعم، كان من الواضح أن هناك خللا ما في اشتغال النظام ولكني حصلت على تعليم مرموق الاحترام في المدرسة ولم اشتك أبدًا من الجوع. أنا سليلة عائلة فرصوفية من الطبقة الوسطى بالتأكيد وكان لكلا أبوي عمل وكان لنا مستوى عيشة مرْضي. اكتشفت في العديد من المناحي أنني كنت أفضل تربية و أفضل تهيئا من زملائي من «البلدان الحرة». كان التمدرس والتربية والمعرفة مرموقي الصيت في بولونيا. كنا في انغلاق ولكنا كنا نعلم ذلك ولذلك حرصنا على تعلّم لا ما كان يدرّس لنا فحسب بل التاريخ الآخر. كما قلت لك، كنت محظوظة بالتتلمذ على أستاذة تاريخ رائعة. لقد غيرت حاتي. كنا إذًا لا نزال نصغي إلى ما يدور في العالم. كان يمكن لك أن تقرأ كتبا يأتيك بها أحد ما من الغرب بطريقة غير مشروعة، وكان عليك أن تمضي كل الليلة في قراءة كتاب إذ كان عليك أن تعطيه في اليوم الموالي لغيرك. كانت تلك ممارسة معتادة.

م.ب. تلك هي القصص التي تسردينها للناس حتى تجعليهم يفهمون معنى الحياة في بولونيا. ما كان رأيك في تضامن ذاتها؟

إ.ب. كنتُ مستثارة، وصرتُ بعد ذلك أكثر نقدية. ولكن تضامن كانت قوة لم يتيسر توقيفها. على أثر فرض حالة الطوارئ مُنعت رسميا وانتقلت إلى السرية ولكنها ظلت موجودة. كانت تلك سنوات شديدة الخصوصية في البلد جينما انتظم الناس بطرق جديدة. كان الاصطفاف أمام المتجر لابتياع الحليب اشتراكا في المجتمع المدني. كان الناس ينتظمون من أجل الاستمرار في الحياة أو للنضال ضد شيء ما أو للتحايل على النظام الذي جعل حياتهم مستحيلة. كانت يوجد ثمة شعور خاص بالوحدة.

م.ب. نعم، وكان للكنيسة هي أيضا دور هام.

إ.ب. كانت الكنيسة مثل مظلة استفادت منها كل أنواع المعارضة، كما قدّمتْ المساعدة عندما فرض قانون الطوارئ أيضا وزج بالكثير من زملائنا في السجن لمدد طويلة وتُركت الزوجات وأطفالهن لوحدهم. كانت المتاجر خاوية، ولم تكن الهواتف تشتغل، و لا الترام. كنا مشلولين تماما. كان ثمة هناك العديد من التحديات جينها.

م.ب. عالجت هذه المسائل في الرسالة التي نشرتها لاحقا بالإسبانية تَحت عنوان «المجتمع المدني في بولونيا وتضامن». أأنا على صواب؟

إ.ب. نعم، كتبت عن تضامن والمجتمع المدني في رسالتي للدكتوراه ولكن بطريقة أقل شخصانية بالتأكيد. لم تكن رسالتي حول تضامن بوصفها حركة اجتماعية إذ كان العديدون قد كتبوا عنها بل حول الكيفية التي انتظمت بها الحياة، والكيفية التي تصرف بها الناس في البلد على قاعدة يوما بيوم. كانت في الرسالة فصول عن المعارضة وعن الكيفية التي نظّم بها الناس الاقتصاد الموازي مقايضين السكر بالفاصولياء وما شابه ذلك. ألح مؤطري هنا، في جامعة كومبلوتانس (Complutense) في مدريد، فيكتور بيريث-دياث (Victor Pérez-Díaz) عليّ بأن أكتب فصلا عن تاريخ الاحتجاجات في بولونيا بحيث يتمكن القراء غير البولونيين من فهْم السياق.

م.ب. كيف كان أمر المعارضة اليولونية في ظل الشيوعية؟

إ.ب. لم تضع المعارضةُ المبكرةُ الشيوعيةَ موضع سؤال أبدا. كانوا يحاولون تعديل النظام، تعديل النسق ساعين إلى تحسينه، كانوا يريدون «اشتراكية ذات وجه إنساني» كما كانوا يسمونها.

م.ب. كان ذلك في البدايات، خلال السنوات ١٩٥٠. ولكن أتعتقدين أن حركة تضامن كانت تمثل نفس الشيء.

إ.ب. في معنى ما نعم. إذا ما تأملتَ مطالب تضامن في البدايات الأولى لاحظتَ أنها كانت تشمل النقابات العمالية الحرة ولكن ذلك أكثر المطالب تسيّسا. كانت كل المطالب الأخرى تتمحور حول جعل الشيوعية قابلة للعيش مثل استقرار الأسعار وظروف عمل أفضل وما شابه ذلك. لم يكن أحد يضع النسق موضع سؤال حقاً. كنا نريد أن نحسّن ظروف العيش فيه فحسب.

م.ب. ولكن قبل ذهابك إلى مدريد، جينما كنت في أمستردام، من ١٩٨٢ إلى ١٩٨٦، كنت صلة بين المعارضة و العديد ممن كانوا يمرون من هناك فيسلموك المنشورات السرية جاعلينك على علم بالمستجدات؟

إ.ب. هذا صحيح. كان لدي على الدوام سرير إضافي لمثل هؤلاء الزوّار. كانت عائلتي على صلة جيّدة بالصحفيين وكانوا يمكثون معي غالبا. وفي الحقيقة كانت تلك هي الطريقة التي التقيت بها ريزارد كابوسينسكي (Ryszard Kapuściński.).

م.ب. هل تعنين ريزارد كابوسينسكي الشهير؟ أتعرفت عليه؟ كان رجلا رائعا و لا شك بالنظر إلى ما كتبه، مؤلفاته حول إيران و أثيوبيا وروسيا كانت متألقة.

إ.ب. كان لقائي به طريفا للغاية في الحقيقة. كان ذلك عندما حل بأمستردام للدعاية لواحد من كتبه. كان قد جلب معه لي شيئا ما من عند عائلتي. كنت أقطن في علّية واحدة من بيوت أمستردام النمطية تلك ذات السلالم كثيرة الكثرة. كان على كابوسينسكي أن يعتلي كل تلك السلالم محمّلا بالكثير من الكتب التي جلبها لي وأغلبها كان من المنشورات السرية. وصل إلى حيث كنتُ وقال: «علي أن اسلتقي على التخت»، كان يشتكي من مشكلة ما في أسفل ظهره وكان في حالة معاناة شديدة مع كل تلك السلالم وبكل تلك الكتب. وكذا إذًا كان كابوسينسكي الشهير الذي لم أكن قد التقيته من قبل بالمرة متيبسا مستلقيا على الأرضية في شقتي طوال الساعات الخمس الموالية. لم يكن بوسعه الحراك. كذا إذًا صرنا أصدقاء.

م.ب. في الحقيقة إذا، هو لم يغادر بولونيا لوقت مديد أبدا باستثناء ما كان في مهماته الصحفية؟

إ.ب. نعم ظلّ هناك على الدّوام. وتحدثنا بالطبع تحدثنا مطولا. حينها لم أكن أعلم تحديدا ما الذي كنت فاعلةً بحياتي. عندها قال لي: «اسمعي. ٩٨ بالمائة من الناس في العالم يشعرون بالسعادة لأنهم يحيون حياة هادئة ومرتبة. ولكن ثمة اثنين بالمائة يسألون نفس الأسئلة التي تسألين». لم يقل أي شيء آخر . بعدها أضاف: « على من يسأل هذه الأسئلة واجب الاستمرار في إلقائها». ■

للمقابلة بقية.

تربية الأطفال

في أكثر شوارع العالم طولا

تامارا كاي (Tamara Kay)، جامعة هارفارد، الولايات المتحدة

أطفال في جنوب أفريقيا يلعبوا مع كامي، دمى فتاة صفراء مصابة بفيروس نقص المناعة البشرية، تيتمت بسبب الإيدز. ورشة عمل سسم© ٢٠٠٧. جميع الحقوق محفوظة. تصوير ريان هيفرنان. لمشاهدة الفيديو لمقاطع من شارع سمسم في مختلف البلدان: *http://www.sesameworkshop.org*

يتحلّق الأطفال في حي حضري قصديري هندي حول عربة خضراوات عُدّلت لتحمل جهاز تليفزيون وجهاز تشغيل أقراص دي في دي منبهرين بشخصيات تغني حول الحرف ما (ma) بالهندية. وفي تنزانيا يستمع الأطفال إلى برنامج إذاعي يعلّمهم كيف يصنعون شبكة حامية للسرير من البعوض تساعدهم على التوقي من المالاريا، وفي جنوب أفريقيا حيث يفتقد واحد من كل عشرة أطفال أحد والديه جراء السيدا يساعد برنامج تليفزيوني على نزع الوصم على المرض وعلى التعامل مع الفقدان. لكل هؤلاء الأطفال شيئان مشتركان على الأقل: سيكونون أكثر تمكّنا بكثير من أطفال أقل حظا حينما ينتسبون إلى المدرسة إذا ما فعلوا ذلك، وأنهم منخرطون في صيغة محلية من شارع سيزام (Sesame Street) الذي بعث من أجل المساعدة على التخفيف من العوائق التي تعترض طريقهم.

يحمل انتشار شارع سيزام ونجاحه بالنظر إلى التسييس الخارق للعادة للثقافة في زمن للعولمة لغزين متلازمين: كيف يمكن لمنتوج ثقافي أمريكي الرمزية أن يخترق قنوات عابرة للقوميات على مدى الزمن؟ وكيف حصل على قبول وشرعية محليين كما لو كان شيئا حقيقيّ المحلية وأصيلا؟

>>

توفر ورشة سيزام التربوية غير الربحية (ورشة تليفزيون الأطفال سابقا) فرصة فريدة للإجابة على هذه الأسئلة لأنها تخلق مع شارع سيزام تكييفات محلية وإنتاجات مشتركة في كل أرجاء العالم صمِّمت لتحضير أطفال ما قبل الدراسة للمدرسة. وفضلا عن ذلك، تطور ورشة سيزام. مشاريع واسعة النطاق تشمل شركاء محليين مثل الحكومات ومنظمات المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية وتضع في أولوياتها أهداف الأمم المتحدة التنموية الألفية التي تمتد من رفع الأمية إلى الصحة (بما يشمل التوقي من المالاريا في تنزانيا والتطعيم المناعي في الهند والصحة القلبية والتغذية في أمريكا اللاتينية، ونزع الوصم عن السيدا في أفريقيا الجنوبية) إلى المساواة الاجتماعية (تحفيز التسامح الديني والإثني في مناطق النزاع مثل فلسطين-إسرائيل، كوسوفو، أفريقيا الجنوبية وأيرلندا الشمالية) من بين أغراض أخرى. تتخذ البرامج واسعة النطاق هذه أشكال عيادات في طب الأسنان، ومدارس نموذجية، وإعلان إسداء خدمات عمومية وتوزيع مجاني لمواد (كتب، لعب تعليمية، أقراص دي في دي، أدلة توجيه للأولياء، إلخ) تعزز العمل على بلوغ الأهداف التي يضعها الشركاء المحليون وخاصة في المناطق التي لا يتمكن فيها الأطفال من التعامل مع التليفزيون.

تكشف المقابلات المكثفة والبحوث الإثنوغرافية المجراة في أمريكا اللاتينية وأفريقيا والشرق الأوسط أن برامج سيزام تحوز على القبول المحلي على الرغم من القضايا الخلافية التي يحتمل أن تثيرها (تساوي النوعين، الاحترام المتبادل مع «الآخرين» العرقيين و الإثنيين، إلخ) ويعود ذلك إلى كون ورشة سيزام. تهيكل علاقتها مع الشركاء المحليين وتتفاوض حولها. نموذج ورشة سيزام. للإنتاج المشترك فريد من نوعه بين المنظمات المنخرطة في العمل العابر للقوميات لأنه يرتكز على تكوين فريق محلي من الخبراء يختارون المواضيع والمناهج لبرامجهم ولمشروعاتهم واسعة النطاق. وعلى الرغم من كونهم عرضة لبعض التضييقات والرقابة، فإن للشركاء حرية واسعة في هندسة مشاريعهم. وعليه فإن ورشة سيزام. تكشف المفاوضات العسيرة على الغالب التي يسرت مسارات التهجين والنشر النهائي.

أجبرت المفاوضات حول شروط التبني في كوسوفو لورشة سيزام. على إعادة تقدير قيمة جوهرية هي استعمال الألفباء في رفع الأمية. لم يتفق الألبان والصرب على ألفباء موحدة (لاتينية أو سيريلية (بلغارية مقدونية- المترجم)). وبالإضافة إلى قضية اللغة لم يرغب الشركاء في تصوير مشاهد لأطفال المجموعتين وهم يلعبون سويا لأن الأولياء ما كانوا ليسمحوا لأبنائهم بالتفرج على برنامج مندمج الإثنيات. وعلى الرغم من أن المشكل كان يمكن أن يغتال البرنامج فاوضت ورشة سيزام. الشركاء المحليين وجددت في ابتداع الحل بحيث طوروا «قاموسا مرئيا» يُظهر الأطفال وهم يحملون أشياء مثل النظارات الشمسية ناطقين بما يناسبها من الكلمات باللغات المختلفة.

كانت شروط القبول مهمة للفلسطينيين أيضا الذي كانوا في البدء رفضوا سنة ١٩٩٤ المشاركة في إنتاج مع الإسرائيليين يركّز على الاحترام والتفاهم المتبادلين. كانوا يخشون أن تتسبب صيغة عالية الجودة من شارع سيزام في تحطيم هوية محطتهم التليفزيونية الفلسطينية الوليدة والضعيفة وأن يجعل منهم التعاون مع الإسرائيليين والأمريكان هدفا لهجومات المحافظين، ولكن العناصر الأساسية في الفريق نظرت إلى الأمر على أنه فرصة لتركيز بنية تحتية إعلامية محلية ولتدريب فلسطينيين شبان. طلبوا بأن يحوّل مبلغ مهم من التمويل من الإنتاج إلى التدريب. وعليه توقف قرار الفلسطينيين بتبني البرنامج على قدرتهم على التفاوض حول ما كانوا يعتبرونه إنتاجا ومسارا أعلى قيمة من غيرهما.

كان التفاوض حول محتوى إنتاج يتجاوب مع الساكنة المحلية ويتوجه إلى الحاجات المحلية بالغ الأهمية بالنسبة إلى شركاء ورشة سيزام. البنغاليين والجنوب أفريقيين. عبّر الأولون عن تخوفهم من استخدام الدّمى المتحركة في برنامجهم بالنظر إلى تقليد فن الدّمى الرّاسخ في الثقافة البنغالية. ومع أن ورشة سيزام. لا تطلب من الشركاء استخدام الدّمى المتحركة (أي الدّمى التي ابتدعتها شركة جيم هونسون Jim Henson) قرر الفريق البنغالي في الأخير أن يصنع دماه المتحركة الخاصة (بما في ذلك شخصيات النمر البنغالي وابن آوى) وإدخال قضبان الدمى المتحركة الخشبية البنغالية في سيسينبور (اسم ورشة سيزام البنغالي والتي مولتها الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية- المترجم). تفاوض ورشة سيزام. والفريق المحلي حول تخطيط موحد لإدماج هذا الأخير عبر تحويل البرنامج إلى « عالم إيكري» (Ikri) حيث تعيش الدّمى المتحركة الخشبية البنغالية وتروى حكاياتها مغناة عبْر تخيل دمية متحركة اسمها إيكري. صنع الجنوب أفريقيون مساهمتهم في موسم ثان من تاكالاني سيزام (Takalani Sesame) اعتمد تعامل البرنامج مع أزمة السيدا في البلد والمشاريع المرتبطة بها. وعلى الرغم من الانشغالات الأولى عملت ورشة سيزام. معهم لتطوير منهج يعالج السيدا ودمية متحركة حاملة لفيروس هـ-آي-في موجبة اسمها كامي.

من الواضح أن لنموذج ورشة سيزام. آثار إيجابية على نتائج المشروع. نجاحات الإنتاجات المشتركة والبرامج واسعة النطاق مذهلة. تُظهر دراساتٌ مراقبةٌ أن الأطفال البنغاليين الذي شاهدوا سنسيبور أنجزوا نتائج في تعلم القراءة والكتابة أعلى بمقدار ٦٧ بالمائة ممن لم يشاهدوه. وفي مصر حقق مشاهدو عالم سمسم ذوو السنوات الأربع نتائج في الرياضيات وفي تعلم القراءة والكتابة تضاهي ما حققه الأطفال ذوو السنوات الخمس الذين شاهدوه قليلا أو لم يشاهدوه بالمرة. كما كان من الواضح أن التكييفات المحلية تعزز من مشروعية ورشة سيزام. ومن ثمّ تدعيم ما يحققه. لا تسعى لجان بحث ورشة سيزام. المستقلة إلى قياس أثر كل إنتاج مشترك تربوي فحسب بل إلى معرفة مدى اعتباره محليا (وعادة تعتبر البرامج كذلك). خلال الثمانية عشر شهرا التي استغرقها بث الجزء الأول سنة ٢٠٠٠ حقق عالم سمسم المصري نسبة مشاهدة واهتمام بالبرنامج بلغت ٩٨ بالمائة وتمتع برمزية عادلت رمزية الصيغة الأمريكية. وفي الهند أدخل ٥٢٠٠ مركز رعاية نهارية حكومية غالي غالي سم سم (Galli Galli Sim Sim) في مختلف جوانب مناهجها. يبدو أن شارع سيزام هو وسيلة تربية الأطفال الأكثر انتشارا في العالم.

توفر نظرية انتشار مثل التفاوض إطارا مقنعا جديدا لفعل العوامل التي تقيّد مقاومة العولمة ثقافيا وتطلق شراراتها، بل، و أكثر من ذلك، تشير إلى أن المشاريع التنموية الناجحة والتهجينات الثقافية المقبولة محليا يمكن أن تكون رهينة بناء المزيد من العلاقات العادلة بين المنظمات العابرة للقوميات في زمن يمكن فيه لها ولإنتاجاتها أن تنتشر بمثل هذه السرعة في كل أرجاء الكوكب. وعلى الرغم من إمكانية فرْض مسار التوزيع ذاك فيما وممارسات ومنتجات غربية وهيمنتها فإن حالة ورشة سيزام. تكشف عن منابع ما يتمتع به المتبنون من نفوذ وتأثير واستقلالية عبر إنارة الكيفية التي بها يتم التفاوض حول الثقافة في أكثر شوارع العالم طولا. ■

> مواقف منحازة: العلم في مؤتمر ريو +٢٠ للأمم المتحدة حول التنمية المستدامة

بقلم هربرت دوسينا، جامعة كاليفورنيا، بركلي، الولايات المتحدة

أحد المنحوتات المعروضة في وسط المدينة في ريو دي جنيرو كجزء من إحتجاج قمة الشعب ضد ريو +٢٠ مؤتمر الأمم المتحدة للتنمية المستدامة في ٢٠ يونيو ٢٠١٢ الماضي. تصوير هربرت دوسينا.

زاد اتساع مؤتمرات الأمم المتحدة أكثر فأكثر على مر السنين جالبا الآلاف من المسؤولين الحكوميين الرسميين والنشطاء وتنفيذيي الأعمال وحتى المشاهير. في مؤتمر الأمم المتحدة حول التنمية المستدامة الذي انعقد في ريو دي جانيرو شهر جوان المنصرم ذاك الذي يقال عنه أنه أضخم مؤتمرات الأمم المتحدة على مر التاريخ تزاحم أفراد مجموعة أخرى من أجل تسجيل حضورهم هم أيضا، عنيتُ العلماء.

لئن كان لتنفيذيي الأعمال اجتماعات «يوم الأعمال» الخاصة بهم في النزل وكان للنشطاء «قمة الشعب» في الحديقة فقد نظّم للعلماء هم أيضا فضاءهم الخاص موازيا للقمة الرسمية: «منتدى حول العلم والتقنية والتجديد» في الجامعة الكاثوليكية حذو إيبناما (Ipanema). ولكن، وعلى خلاف ما كان لرجال الأعمال والنشطاء من «اجتماعات منحازة» لم يكن من الواضح على الفور أي نوع من الاجتماعات كان ذاك أو ما كان يتقصّد إنجازه. ولكن ما جرى استحال ربما إلى إشارة إلى الكيفية التي تتموقع بها الجماعة العلمية تجاه الفاعلين الآخرين ذوي العلاقة بأزمة المحيط.

>>

> أي نوع من المؤتمرات الآكاديمية كان ذاك؟

لئن قدمت العديد من العروض التي شرحت حال المعرفة في العديد من الحقول العلمية، فإن اللقاء لم يكن على ما يبدو منظما كما لو كان مؤتمرا علميا. لم يكن هناك عدد كاف حقا من العلماء من كل حقل للبناء على ما قيل ومناقشة النتائج المقدمة. كان معظم المشاركين رسميين أو أعضاء من الطرف المنظم الرئيس عنيتُ المجلس العالمي للعلوم (م ع ع) وبيروقراطي العلم من منظمين «شركاء» آخرين من وكالات العلم الدولية مثل اليونسكو ومنظمات علمية غير حكومية مثل المجلس الدولي للعلوم الاجتماعية (م د ع اج، وكنت مندوبه)، وعدد قليل آخر من المهنيين من مختلف الاختصاصات العلمية ومسؤولين حكوميين وممثلين عن قطاع الأعمال بما في ذلك نائب رئيس دوو كاميكل (Dow Chemical) ومدير بلاك بيري العام (Blackberry).

إذَا كان الهدف تعزيز الصلات ما بين الاختصاصات فإن القليل من الوقت خصص حقيقةً لتفاعل تام المعنى بين المشاركين. على امتداد خمسة أيام كان على الحضور أن ينتقلوا من جلسة إلى جلسة ذات سبعة أو ثمانية متحدثين توجهوا كلهم إلى الحضور من على منبر مرتفع لساعتين مع حصة خلال العشر إلى الخمسة عشر دقيقة الأخيرة خصصت لوابل من تبادل الأسئلة-الأجوبة.

كانت هناك العديد من الافتتاحات الملائمة للمناقشة مثل تلك التي سنحت عندما عبّرت متحدثة عن ارتياحها لأنها ليست عالمة في اقتصاد البيئة مكلّفة بوضع فرضيات «بطولية» لاحتساب كلفة الحياة أو قيمة الغابة ماسّة بذلك واحدا من الخلافات المزمنة في العلوم الاجتماعية ولكن ملمّحة أيضا إلى الامتعاض الذي انتاب الجغرافيين حيال نظرائهم الأكثر قوة في العلوم الاقتصادية، أو عندما قال أحد المهندسين عَرَضًا إن دور العلماء الاجتماعيين يتمثل في تحديد «الملاءمة الثقافية» لما كانوا هم (المهندسون) قد تولوا تحديده بعدُ من حلول ماسًّا بذلك أحد النقاط الخلافية الأساس من منظور تقسيم العمل بين «العلماء الطبيعيين» و«العلماء الاجتماعيين»، أو عندما أحال المتحدثون الواحد تلو الآخر حقا إلى علماء الفيزياء والكيمياء أو المهندسين بوصفهم «علماء طبيعيين» كما لو لم يكن ما يدرسه العلماء الاجتماعيون جزءا من الطبيعة أو غير طبيعي على نحو ما. يبدو أن الفكرة القائلة بأن المجتمع «هو أكثر ما يمكن أن نلحظ في الطبيعة من سطوة تجمع القوى الفيزيائية والروحية» كما أوضح ذلك دوركايم منذ زمن بعيد لم تنجح في جذب الانتباه خارج علم الاجتماع.

أشارت لحظات التوتر بين الاختصاصات وفي نقاط تقاطعها والتي كشفت الاختلافات العميقة في النظرة إلى العالم وقضايا القوة غير المرئية بوضوح إلى مجموعة عريضة من القضايا التي يمكن أن تتضح عبر ذلك النوع من الحوارات العميقة والمحفزة للفكر الذي توفره مثل هذه المؤتمرات القليلة (وباهضة التكاليف).

> البحث عن الشركاء في صفوف رجال الأعمال والحكومة

مثلما سارعت خطب المنظمين الرئيسيين والعديد من العارضين وتدخلاتهم إلى توضيحه، لم يكن المؤتمر مخصصا على ما يبدو لمساعدة العلماء إلى ما يتجاوز حالة عدم التفاهم المتبادل بل لم يكن الحضور الأول فيه مصمّما لممارسي العلم.

بدلا من ذلك، وطوال الأسبوع وجّه العديد من المتحدثين (وإن لم يكونوا كلهم) أقوالهم إلى نوعين من الفاعلين لم يكن في الحضور من عدادهم إلا القليل: رسميو الحكومات (أو التابعون للمنظمات الدولية) ورجال الأعمال. متحدثا تلو الآخر افتتحوا ما قالوا بوصف الخليج القائم بين العلماء و«المستثمرين»، خليجا رأوا أنه من منظور هؤلاء يفتقر إلى الاهتمام بمبادرات الأوّلين وإلى دعمها. ثم دعوا كلهم من دون اختلاف إلى اجتذاب هذا الخليج إلى المزيد من التعاون بين العلماء وصناع القرار. ومن أجل جعل المولين ورجال الأعمال وصناع السياسات أكثر تحكما في نتائج أبحاثهم دعاهم المتحدثون إلى «المشاركة في تصميم» بحوثهم و«المشاركة في إنتاجها» بمعيتهم أي وبعبارة أخرى إلى مساعدتهم على التمكن من تحديد أسئلة بحوثهم بحيث يجدوا تطبيقات ملموسة لاكتشافاتهم. تمت الإشارة كذلك إلى «قطاعات أخرى من المجتمع المدني» ولكن الحقيقة أن القليل منها فحسب دعي إلى المشاركة في المؤتمر. مقابل «دعم» أكبر عَرَضَ العلماء على صنّاع السياسات وتنفيذيي الأعمال المعرفةَ التي يحتاجون من أجل فهم ما يسمونه ت م ك (التغير المناخي الكوني) ومعالجة « التغيرات الاجتماعية» الواجب إنجازها من أجل تحقيق «التنمية المستدامة». عرضت كل المفاهيم الجديدة وكل القياسات الجديدة الصالحة لقياس مختلف مظاهر هذا الموضوع الجديد الذي يحاول العلماء ذواتهم الآن بناءه عنيتُ ما يسمى «الاقتصاد الأخضر».

كان هنالك البعض من الأصوات الناقدة بالتأكيد، إذ كثيرا ما جادل م د ع اج ومبعوثوه مثلا الميولات التكنوقراطية التي أظهرها «العلماء الطبيعيون» في القاعة عبر التأكيد على الجذور التاريخية أو النسقية لأزمات اليوم البيئية. وقد نادى واحد من المتحدثين على الأقل بتحالف أشد قوة مما هو قائم مع الحركات الاجتماعية من قبيل النشطاء والسكان الأصليين المكافحين ضد شركات النفط من أجل «الحفاظ على النفط برمته» في الإكواتور.

ولكن المؤتمر ظل في صورته الغالبة حوارا بين العلم والدولة ورجال الأعمال مبنيا على التصور التكنوقراطي القديم والنظرة المتصرفة القائلة بأن المشكل يكمن ببساطة في كون «صناع القرار» ليسوا على دراية بالمعرفة التي يحتاجون من أجل وضع القرارات الصائبة ولكنهم سيكونون جيدين إذا ما حصلوا عليها صحيحةً من لدن العلماء. الجهل، لا بنى القوة ولا ضغوطات النظام هو من يتسبب في التدهور البيئي، والتغيير آت من «التصرف» الجيّد من الأعلى لا من المقاومة من أسفل.

كان مشروع م د ع المسمى «مستقبل الأرض» واحدة من المبادرات التي بدت مجسّدة لهذا الميل وحازت على التقدم الأكبر في المؤتمر، مبادرة بحثية جريئة تمتد على عشر سنوات تهدف إلى تجنيد آلاف من العلماء «من أجل توفير المعرفة الضرورية لتمكين المجتمعات من تحقيق أهداف تنميتها المستدامة». بالاستناد إلى ما حصلت عليه المبادرة بعدُ من دعم أحد أكثر ممولي الأبحاث غنًى، تولّى تقديمها أحد المتحدثين على أنها

<<

المحتجون مع قمة الشعب يقتحمون البلازا فلورين في وسط المدينة التاريخية في ريو دي جنيرو، حوالي ٤٠ كيلومتر بعيداً عن مكان انعقاد القمة الرسمية. تصوير هربرت دوسينا.

«واحدة من الشراكات التي يقل نظيرها على مر التاريخ». جوابا على المبادرة تحدث المدير التنفيذي العام لبلاك بيري داعما الحاجة إلى «البحث القابل للتحويل إلى فعل» قبل أن يحذّر العلماء من أخطار «الإيديولوجيا».

وباستثناء بعض التدخلات الناقدة إذًا جعل محتوى البرنامج وبنيته وخاصة تلك النداءات التي تكررت من أجل إقامة «الشراكات» مع رجال الأعمال والحكومات عسيرا الخروج منه من دون النظر إليه على أنه عروض مبهرجة وبديعة التنظيم لمبيعات ينجزها بيروقراطيو العلم والعلماء الراغبون في الانتفاع بالأموال متصاعدة المبالغ التي بدأت الحكومات ورجال الأعمال في تخصيصها لمشاريع الهندسة الاجتماعية والجغرافية الهادفة إلى «التكيف» مع الأزمات البيئية و«التصرف» فيها.

> أسئلة لم تلق...

لا يعني هذا البحث عن الشركاء ذوي الغايات الربحية بالضرورة أن البيروقراطيين والعلماء الذي نظموا المؤتمر لاهثون وراء الارتزاق جشعون. يمكن أن تكون حقيقة الأمر أنهم يشتركون بوعي وبغير وعي مع شركائهم المفترضين في نفس الأجوبة على الأسئلة الجوهرية التالية التي كان يمكن للمؤتمر أن يناقشها أكثر ولكنه لم يفعل:

أعلينا حقا أن نفكّر في الطبيعة بوصفها مزوّدا «لخدمات نظام بيئي» وأن نضع فعلا ثمنا لتلك الخدمات؟

في مكان آخر من ريو في القمة الرسمية قاوم مفاوضو البلدان النامية مسنودين بالعديد من النشطاء مجرد استخدام لفظة «خدمات نظام بيئي» في البيان النهائي على الصيغة التي دفعت إليها بقوة الولايات المتحدة الأمريكية والبلدان المصنعة لأنهم كانوا يخشون من تعميقها لاحقا نحو «إضفاء صبغة مالية» على الطبيعة. ولكن، هنا في المؤتمر، صار العلماء إلى أن اعتادوا استخدام اللفظة من دون وُقُوف مُتَأَمّل. وحين رُفع في وجه أحد الجغرافيين (أحد أهم مناصري «مستقبل الأرض») تحد حيال ذلك كانت أجابته: اقرأ العدد الأخير من صحيفة الطبيعة (Nature)، سيكون حلّ ذلك علميا.

أمن الممكن المواءمة بين نمو لا نهائي وحماية للمحيط مثلما يعلن ذلك مناصرو «التنمية المستدامة» و «الاقتصاد الأخضر» اليوم؟

في مكان آخر من ريو، في قمة الجمهور اعتُبر النمو اللانهائي مناقضا للاستدامة. ومثلا بمثل يتعرض الاقتصاد الأخضر للسخرية بانتشار تسميته «رأسمالية خضراء» بوصفه عملا على تفادي تغييرات بنيوية ضرورية تحافظ حقّا على الطبيعة. ولكن، هنا في هذا المؤتمر كان العلماء يستجدون عرض خبرتهم لمساعدة الحكومات ورجال الأعمال في محاولتهم بالتحديد جعل المستحيل مُمكنا.

تذكيرا بمنبع أقدم انشقاقات المفاوضات حول المحيط، من هو المسؤول حقا عن أزمات محيطنا وكيف السبيل إلى استيعابها؟

في مكان آخر في ريو، أشار العديد بأصابع الاتهام إلى الشركات العابرة للقوميات وإلى حكومات البلدان الغنية، التي أسماها أحد العلماء الاجتماعيين «نخب الحكم»، وفي قمة الجمهور اعتيد على تسميتهم «بالمجرمين» و «القتلة»، ولكنهم هنا في المؤتمر العلمي كانوا «شركاء» يُتغزل بهم ويُتودد إليهم بوصفهم «مصمّمين مشاركين» و«منتجين مشاركين» في أبحاثنا. حاجج أحد علماء الإناسة بأنه «علينا ألا ننظر لنخب الحكم على أنهم أعداء. ليس هذا بنّاءً... لا أعتقد أن الوقت يسمح لنا بإحداث تغيير سياسي. علينا أن نلتزم معهم. لا طريق لنا سوى هذا».

> قوة الحياد

لدى البحث عن «شركاء» في صفوف الحكومات ورجال الأعمال ذكَر العلماء مرارا وتكرارا نقطة تجارية قيمة، وهو ما كان يفتقده كل الآخرين، عنيتُ «حيادهم» المفترض وعدم انحيازهم وانعدام المصلحة لديهم فيما يقولون. لقد كانوا يرفعون عن غير وعي ربما عدم تحيزهم كلما نادوا ب«عقد جديد بين العلم والمجتمع» (كما لو كنا نقف على الحياد من المجتمع أو فوقه)، أو كلما دافعوا عن روابط أقوى بين «المستثمرين» أو «صنّاع القرار» (كما لو كنا من دون حصص وغير منخرطين في صنع القرارات عبر كل الطرق التي نكيّف بها المشاكل ونقدمها وعبر كل الأجوبة التي نأخذها على أنها بديهية)، أو عندما يؤكّدون على أن اكتشافاتهم ليست إلا عناصر «مناسبة لوضع السياسة» وليست «ملزمة بسياسة ما» أبدًا (وكأننا لا نُلزم بشيء عندما نضيّق السياسات المناسبة على من يُقرّ أن ما من طريق آخر غير «الاقتصاد الأخضر»).

على الرغم من التبشير المتكرر بالحياد، يبدو أن العلماء هاهنا قد اختاروا بعدُ إلى أية جهة ينحازون. ■

> نتائج مغضوب عليها:
النسوية والليبرالية

بقلم سيلفيا والبي (Sylvia Walby)، جامعة لانكستر، المملكة المتحدة،
والرئيسة السابقة للجنة البحث الاقتصاد و المجتمع في ج د ع اج (ل ب ٢٠)

إحتجاج من قبل العائلات و الأطفال ضد التخفيضات، وتأثيرها على النساء تحديداً. لندن ٢٦ فبراير، ٢٠١١.

النتائج

الأوسع نطاقا للأزمة المالية عرضةٌ للاحتجاج. أتكون الأزمة (٢٠٠٧-١٢) فرصة لإعادة بناء جذرية للاقتصاد والمجتمع في اتجاه يساري (اجتماعي-ديمقراطي أو اشتراكي) أم يميني (نيوليبرالي أو فاشي)؟ تحاجج هذه الورقة بأن النوع الاجتماعي في قلب السيرورات والبنى ذات العلاقة وأن المشروع النيوليبرالي والبرامج الحكومية مكيفة حسب النوع الاجتماعي.

> منابع النيوليبرالية

فيما تتخذ سيرورة تطور رأس المال المالي صبغة كونية لا تزال توجد اختلافات ذات شأن بين التشكيلات الاجتماعية الوطنية. ويسمح لنا ذلك بمسائلة مختلف نتائج الأزمة متدرجة الوضوح في ارتباطها بمختلف القوى السياسية في المجتمعات المدنية والدول والكيانات السياسية الأخرى.

يتخذ الوجه الراهن للأزمة في السياق الأوروبي (بمختلف تنويعات تطبيقاتها الممكنة في غيره) شكل الضغط الهائل من أجل الاقتطاع من المصاريف الحكومية. يقدّم عجز الميزانية والديون المتراكمة كما لو كان غير قابل للمعالجة. توجد ثمة أنواع مختلفة من تأويلات هذه الضغوط.

أحد التأويلات يقول إن منبع مثل هذا العجز والديون هو الإنفاق المفرط على الرعاية بحيث يكون العلاج اقتطاعات في المصاريف. على أن هذا القول مشكوك في صحة تفسيره لمنبع العجز بما أن هذا عائد رئيسيا إلى انخفاض فجئي في عائدات الضرائب نتيجة للتراجع الذي تسببت فيه الأزمة المالية مقرونة إلى المقادير المخصصة لكفالة البنوك والمصاريف الضرورية لدعم من أفقدهم الانكماش الاقتصادي وظائفهم.

يقول تأويل ثان إن المشكل يرتبط بابتداع اليورو عملة موحدة للاتحاد الأوروبي بحيث لم تقدر البلدان مفردة على تعديل عملاتها. ولكن هذا «الحل» لا يزيد على اقتراح تخفيضات تنافسية أي نوع من الحمائية التي بان فشلها في السنوات ١٩٣٠ (وقد تم بعد اتخاذها في المملكة المتحدة التي ظلت خارج اليورو ومناوئة له).

يتمثل التأويل الثالث في أن الأزمة المالية منتوج ضروري للرأسمالية حيث بلغ نظام التراكم الراهن حد الإرهاق فاتحا المستقبل على البربرية أو الاشتراكية (هاري Harvey) أو ربما على تحول نحو الهيمنة اللاحقة (آريغي Arrighi). ولكن هذا التأويل ساحق هو أيضا وينزع نحو التقليل من

>>

خصوصيات السياقات السياسية والمجتمعية.

رابع التأويلات الذي نعرضه هنا يعالج النيوليبرالية لا على أنها مرحلة موالية في الرأسمالية لا محيد عنها بل على أنها مشروع يتضافر مع نمو رأس المال المالي تنخرط فيه تشكيلة واسعة من القوى السياسية. من هذا المنظور ثمة جدل كبير حيال طبيعة هذه القوى ومشاريعها المستقبلية. تسقط الحكومات وتصارع الأحزاب السياسية التقليدية من أجل توجيه الظروف المستجدة. المشاريع المستقبلية الجدية بدءا من احتلوا (Occupy) إلى لا اقتطاع (Uncut) تتطور خارج الدولة وتتكون الأحزاب السياسية والتحالفات للاحتجاج عليها. ضمن هذا التأويل يكتسي أهميةً خاصةً إضفاء صبغة النوع الاجتماعي على مواقع الاحتجاج وعلى القوى السياسية وأجنداتها الوليدة.

> التقشف بوصفه قضية نسوية

خلال العشريات الأخيرة، سُجِّلَ في العديد من البلدان الأوروبية (وغير الأوروبية) تصاعد في المظاهر النسوية التي تكتسيها سياسات دول الرعاية الاجتماعية في تأمين التعليم والصحة والعناية بتعديل التشغيل ووجهه المقابل العناية بالعمل. كانت تلك في العديد من الأحايين نتيجة مشاريع نسوية وعمالية اندمجت بطرق معقدة في برامج ديمقراطية واشتراكية. تتوازى ترسبات هذه المشاريع المصطبغة بأثر النوع الاجتماعي في البرامج الحكومية و التشكيلات الاجتماعية مع مشاريع الخوصصة وإعادة التعديل النيوليبرالية الصاعدة. كثيرا ما تفارقت ديناميات النوع الاجتماعي والديناميات الطبقية حيث صارت النساء العاملات تدريجيا أكثر انخراطا في المجتمع المدني والمؤسسات السياسية فيما توارت إلى الخلف المؤسسات الاجتماعية الديمقراطية من قبيل النقابات العمالية. خلال الأزمة المالية انبثق المشروع النيوليبرالي بوصفه هجوما سريعا مصطبغا بأثر النوع الاجتماعي على هذه التطورات الاجتماعية الديمقراطية متزايدة الإنجاز من قبل النسوة.

الضرائب قضية نسوية. أظهرت تقنية وضع الميزانية المصطبغة بأثر النوع الاجتماعي مطبقة على تغيرات الميزانيات الوطنية أن محاولات التقليل من العجز ليست ذات تبعات متساوية على كل قطاعات الساكنة بل ترجح لغير فائدة النساء. في المملكة المتحدة أوردت مكتبة مجلس العموم أن من جملة ٨,١ مليار جنيه إسترليني قيمة تصاعد صافي الضريبة الشخصية مقسومة على اقتطاعات الفائدة ضمن ميزانية ٢٠١٠، كانت ٥,٨ مليار جنيه إسترليني (٧٢ بالمائة) واجبة الدفع على النساء مقابل ٢,٢ مليار جنيه إسترليني (٢٨ بالمائة) واجبة الدفع على الرجال. فيما كانت الضرائب (التي يدفعها الرجال في غير تناسب) بالكاد تتصاعد كانت المنافع والخدمات العمومية (التي تتمتع بها النساء في غير تناسب) تقتطع بشدة صارمة. اللجوء إلى رسوم الضرائب أو إدخال ضريبة على التحويلات المالية (الذي جعله قادة فرنسا وألمانيا سياسة أوروبية على الرغم من مقاومة لندن) سياسات مصطبغة بأثر النوع الاجتماعي.

مثال آخر من المملكة المتحدة يتعلق بالاقتطاعات من الميزانيات الوطنية لتوفير خدمات رعاية محلية من قبيل تأمين مأوى وملاجئ، ومرافقة ومساعدة للعمال والتوقي من العنف المسلط على المرأة. كان تطوير هذا القطاع إجابة اجتماعية ديمقراطية مصطبغة بأثر النوع الاجتماعي على العنف كانت فيها الأولوية لتطوير مخزونات الرعاية التي ساعدت النساء من الضحايا أكثر مما كانت إجابات عقابية على مقترفي العنف في السجن. حسب مشروع بحثي صغير لم تكن المعطيات حول تعقيدات الاقتطاعات مغطاة بمساعدة آتية من المنظمات غير الحكومية والنقابات العمالية التي استثمرت في إجراءات «حرية المعلومة». ضخّمت الاقتطاعات المقدرة بواحد بالمائة من الميزانيات الوطنية إذ ترجمت إلى ٣١ بالمائة من الاقتطاعات من طرف المجالس المحلية لفائدة الخدمات المتعلقة بالتوقي من العنف تجاه النساء جزئيا بسبب كون تلك الخدمات أقل تمتعا بالحماية القانونية من غيرها من الخدمات التقليدية.

> إجابات متباينة

تولّدت عن إعادة هيكلة الاقتصاد والمجتمع في المملكة المتحدة وفي غيرها من البلدان إجابات عديدة اختلفت بجلاء بين البلدان وخلفت آثارا متباينة. كانت واحدة من الطرق التي أمكن بها التفكير في هذه التباينات مقارنةُ التعارض بين ما كان من تجنيد ضمن المجتمع المدني وما تم منه موجها ضد الدولة. اشتملت حملات التجنيد ضمن المجتمع المدني على احتلوا التي كانت حاضرة في العديد من المدن الأوروبية والأمريكية الشمالية سواء بسواء ولكن كانت ثمة العديد من الحملات الأخرى إذ في المملكة المتحدة مثلا تم تجنيد حول التهرب الضريبي وتفصي الشركات منه نسقته لا اقتطاع. مع سقوط الحكومات تكونت أحزاب سياسية جديدة في العديد من البلدان الأوروبية بما شمل فرنسا (الحزب اليساري) وألمانيا (اليسار) وأيسلندا وكذا تحالفات جديدة. اختصت حملات التجنيد اليسارية هذه باشتمالها على مكون نسوي ضخم. قد يكون من الخطأ، في سياق أوروبي، دفع هذه التطورات إلى قطبية شديدة بين الخارجين عن الدولة والمنضوين تحتها بما أن أشكال التطور السياسي هذه تجند هؤلاء وهؤلاء. فحيث كانت أقوى التمفصلات الجديدة بين القوى اليسارية والقوى النسوية في أيسلندا مثلا كان تركيز أقل للآثار السلبية للأزمة المالية على قلة من الناس وتوجه نحو ديمقراطية أعمق.

لم تنقض الأزمة المالية، فيما تتولد عن محاولات إعادة الهيكلة نتائج متباينة لأسباب ليس أقلها الفروق بين ما تم من تجنيد، ولا يتعلق ذلك بالرأسمالية فحسب بل أيضا بشكل نظام النوع الاجتماعي. ولا يزال مآل الوضع محل صراع. ■

النسوية الأوكرانية في خضم الفعل

بقلم تامارا مارتسنيوك (Tamara Martsenyuk)، آكاديمية جامعة كييف-موهيلا الوطنية، أوكرانيا

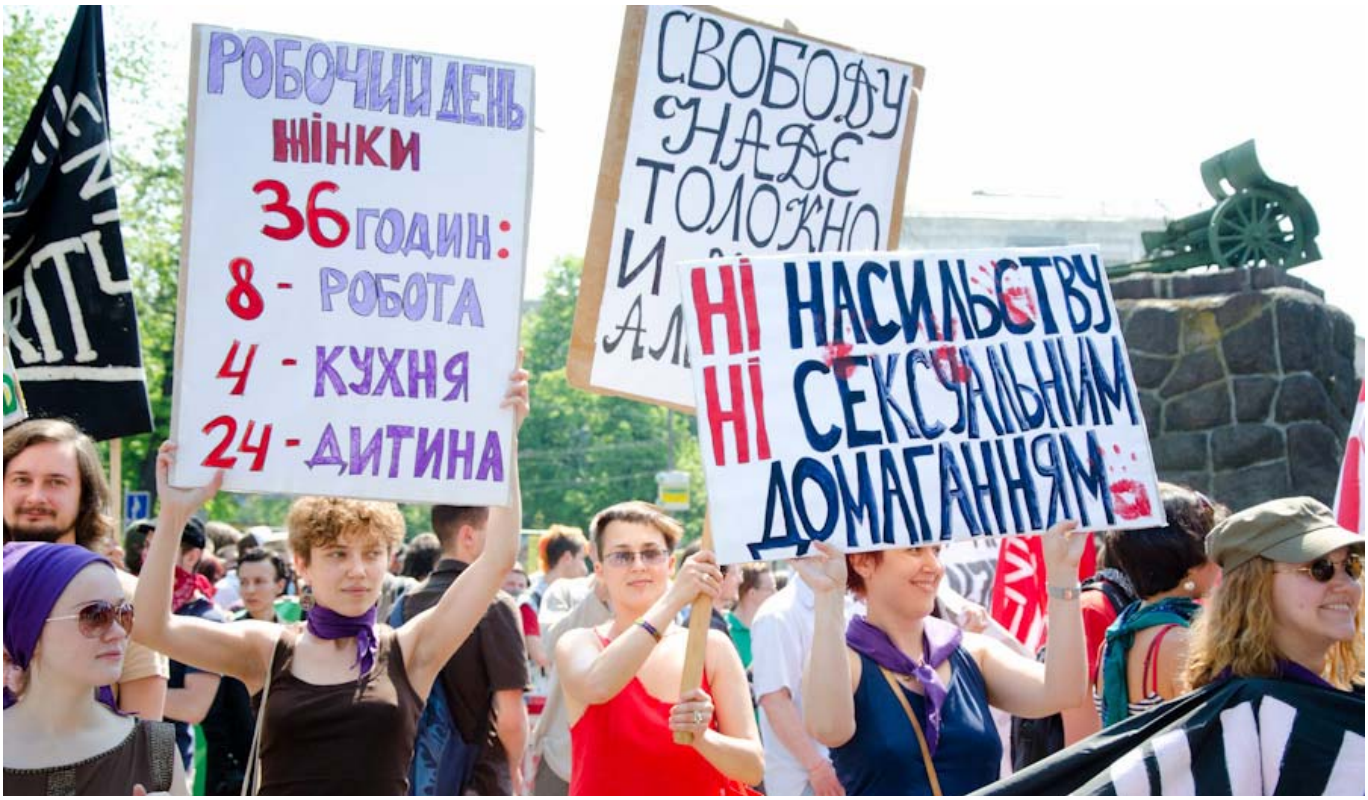

لم يجلب يوم المرأة العالمي (٨ آذار - مارس) للنساء الأوكرانيات الزهور والاهتمام الشديد فحسب بل كذلك تذكيرا بحقوقهن التي ناضلن من أجلها طوال أكثر من قرن. في السنة الماضية، أسست مبادرة نسوية شابة اسمها «هجوم نسوي» لطرق جديدة في إحياء ذكرى الثامن من مارس عبر تنظيم ورشات فنية نسوية ومؤتمرا نسويا دوليا ومسيرة نسوية.

هجوم نسوي (http://ofenzyva.wordpress.com) مبادرة عمومية مستقلة تكافح من أجل إبطال أشكال القوة البطريركية في مختلف تجلياتها (المَيْز بين الجنسين، معاداة المثلية الجنسية، معاداة الثنائية الجنسية، المَيْز العُمُري، والعنصرية والشوفينية) وتناضل من أجل حقوق النساء الاقتصادية والإنجابية. وهي تسعى إلى تغيير الممارسات التمييزية الاجتماعية والتشريعية من أجل خلق فضاء دراسات نقدية في النوع

نشطاء Ofenzyva («الهجومية النسوية») يشركون في مظاهرات ١ مايو (٢٠١٢) في كييف. اليافطات تقول: «يوم عمل المرأة: ٣٦ ساعة: ٨ - العمل المأجور، ٤ - مطبخ، ٢٤ - رعاية الأطفال؛» «لا للعنف، لا للتحرش الجنسي؛ «الحرية لنادية تولكنو» (ناشطة معتقلة). تصوير Ofenzyva.

>>

الاجتماعي ونشاط سياسي ومن أجل تطوير معرفة نسوية تحريرية ولغة غير تمييزية جنسيا وتقاسمهما.

جسّد المؤتمر الدولي ذو الأيام الثلاثة الذي انعقد تحت عنوان « النسوية- نقطة تجميع» (٥-٧ مارس ٢٠١٢) فضاءً للقاء والتضامن نظمته «هجوم نسوي» وجَمَعَ أساتذة ونشطاء من أوكرانيا وروسيا وبولونيا وصربيا وفنلندا وفرنسا والولايات المتحدة. في جلسة «الأداء السياسي النسوي» تقاسم المشاركون مبادراتهم القاعدية ضد خرق حقوق النساء. ومن خلال وضع لحًى والعصف بقاعة الاجتماعات والأعراف أو المعارض الفنية أبرزت المجموعة النسوية المناضلة «اللحية» غياب النساء عن هيئات صنع القرار الواقعة تحت الهيمنة الذكورية. اعتمدت «آ.س.ت. نساء» (صربيا) على إنجازات شوارعية حتى تجلب الانتباه إلى مختلف أشكال العنف المؤسس على النوع الاجتماعي (العنف المنزلي، قتل النساء، الاغتصاب، الإرهاق، إلخ). لم تتمكن فرقة البنك (punk) النسوية الروسية «انتفاضة المرأة» (Pussy Riot) من المشاركة في المؤتمر بسبب إلقاء القبض على أعضائها جراء عرضها في مذبح كنيسة المسيح المخلص في موسكو. كما برمج المنظمون لدعوة المجموعة النسوية الأوكرانية الشعبية الشهيرة «femen» (اللفظة عبارة عن جذر يمكن أن تشتق منه كلمات محيلة على المرأة- المترجم) التي تحتج عارية صدور عضواتها من أجل مناقشة تجربتهن في الميدان، ولكن المجموعة رأت أن سفرها إلى الخارج (إلى تركيا) بتظاهرتها العارية أكثر أهمية من النضال من أجل حقوق النساء في أوكرانيا.

خلال الملتقى نوقشت الهجومات الدينية واليمينية القصوى على حقوق النساء في أوكرانيا وبولونيا وروسيا. وعليه فقد فحصت عالمة الإناسة البولونية آغاتا شيلتووسكا (Agata Chełstowska) الجدل حول الإجهاض والطريقة التي تتلاعب بها به الأحزاب السياسية في التفاوض حول العلاقة بين بولونيا والعالم الغربي (والاتحاد الأوروبي على الأخص)، بصرف النظر عن الآثار الفعلية التي يضعها المناخ السياسي على حقوق النساء وصحتهن الإنجابية. حللت ليسيا باغوليش (Lesya Pagulich) وغالينا يارمانوفا (Galina Yarmanova) خطابات المجموعات الدينية الأصولية التي باتت في السنوات الخمس الأخيرة ناشطة في حملاتها ضد الإجهاض والتخصيب في الأنابيب والمثلية الجنسية في أوكرانيا.

اختير موضوع التعاون بين الكنيسة والدولة في الهجوم على حقوق النساء لعَنْوَنَةِ مسيرة الثامن من مارس ٢٠١٢ النسوية. تظاهر مائتا مشارك تحت شعار «الكنيسة والدولة: آن أن تنفصلا»، «ضريبة عدم الإنجاب: ضريبة على الفقر» (عُرِض مؤخرا في البرلمان الأوكراني مشروع قانون يريد أن يوظف ضريبة على الأشخاص الذين تجاوزوا ٣٠ سنة من دون أن ينجبوا). كان شعار السنة الماضية « نُقِّصَانًا من المطبخ- مزيدًا من الكتب»، «بنى تحتية للأولياء» «العائلة، مكان يُسْتَحَبّ»، إلخ، كما طالب النسويون الأوكرانيون بإطلاق سراح نشطاء «انتفاضة المرأة» التي أشرنا إليها أعلى هذا السجينات من أجل احتجاجهن المضاد للكنيسة.

استبقت مسيرة النساء الهجومات على حقوق النساء الإنجابية مثل ذاك الذي تم يوم ١٢ مارس ٢٠١٢ في فيرخوفنا رادا (البرلمان الأوكراني) عندما اقترح النائب أنريي شكيل (Andriy Shkil) مشروع إقرار تشريع يمنع الإنهاء الاصطناعي للحمل (الإجهاض). في ظل القانون الساري، يمكن للمرأة أن تجهض ما لم يتجاوز الحمل ١٢ أسبوعا. تزامنا مع اقتراب موعد الانتخابات البرلمانية في خريف ٢٠١٢ يسعى السياسيون إلى استغلال مثل هذه القضايا «الساخنة» من قبيل التوجهات الديمغرافية والأخلاقية الجنسية.

بأثر من محاولات الفاعلين الدينيين والسياسيين الهجوم على حقوق المرأة الإنجابية كتبت منظمات نسوية غير حكومية رسالة جماعية وجهتها إلى رئيس أوكرانيا ورئيس البرلمان الأوكراني وسياسيين آخرين مطالبينهم بمراعاة آثار تجريم الإجهاض. وفي السابع والعشرين من مارس ٢٠١٢ نظم نشطاء من أجل حقوق النساء مؤتمرا صحفيا حول «قتل النساء في أوكرانيا: ما أخطار تجريم الإجهاض؟» وألحوا على السياسيين بأن يصوّتوا ضد المشروع التمييزي الذي ينتهك حقوق المرأة الإنجابية ويعرض صحتها للخطر.

ختاما، انتهت النسوية بوصفها نضالا ومناقشة فكرية خلال السنتين الأخيرتين إلى الظهور على الساحة العمومية الأوكرانية، وفي أجل ليس قريبا، ستكون مبادرات شعبية تمثّل قوة مضادة للهجوم المتصاعد على حقوق النساء. ■

مستويات لاأمان متفاقمة في أمريكا اللاتينية

بقلم غابريال كيسلر (Gabriel Kessler)، جامعة لا بلاتا الوطنية ، الأرجنتين

متظاهر يحمل يافطة بألوان العلم الأرجنتيني تقول «لا لإنعدام الأمن،» خلال مظاهرة ضد الإجرام في بوينس ايرس في ٢٠٠٩.

يعم الانشغال بالجريمة أمريكا اللاتينية. ليس ذاك مما يثير الدهشة في هذه المنطقة التي لا تؤوي إلا ١٤ بالمائة من سكان العالم فيما تسجل ما يقارب ٤٠ بالمائة من عمليات القتل بالأسلحة النارية. يبلغ الخوف من الجريمة مستويات بالغة الارتفاع حتى في البلدان التي تسجل معدلات جريمة منخفضة مثل الأرجنتين وكوستا ريكا والشيلي والأوروغواي. مستخدما العديد من المقاربات درستُ «الشعور باللاأمان» (insecurity) في الأرجنتين وأجريتُ مقارنات مع بلدان أخرى في المنطقة. يولّد انتشار الجريمة آثارا مخصوصة على مخاييل الناس الاجتماعية وعلى ممارساتهم. يثير الاتفاق واسع الانتشار على أن الأمر مشكل عمومي مختلف نوعيا عن الماضي سلسلة من الأسئلة حول الأسباب والمخاطر الشخصية والحلول الواجبة. وتمثل الأجوبة مكونات عرض سيوسيولوجي للاأمان. تحدد لنا مقاربة الواقع هذه أية مشاعر تبدو منطقية الإحساس كما تجد لها صدى في مجال الفعل والاحتياطات الواجبة تلك التي نسميها التصرف في اللاأمان. كما أن انتشار القلق يتناقض مع نتائج أبحاث مرحلة سابقة كان فيها الانشغال أكثر انحسارا. يغيّر ذلك من جهة

>>

الربط الكلاسيكي بين الخوف والتسلطية، ومن جهة أخرى، تتغير سواء بسواء تناقضات اللاأمان ومنها مثلا لُغز سَبَب توطن الخوف أكثر لدى المجموعات الأقل تضررا ظاهرا.

منذ الدراسات الأولى في الولايات المتحدة في السنوات ١٩٦٠ بدا الخوف ذاته مستقلا نسبيا عن الجريمة الحقيقية. وهو ينحو نحو النماء طردا مع مُصَاب الناس به، ولكنه وبمجرد التأسس مشكلا اجتماعيا فإنه لا يقل حتى وإن انخفضت معدلات الجريمة. يحدد التعريفُ المعتاد الخوفَ من الجريمة على أنه إجابة عاطفية على خوف أو قلق إزاء جريمة أو على رموز يَجْمَع الناس بينها وبين الجريمة. نحن نخيّر فكرة «الشعور باللاأمان» على أساس أن هذا المفهوم ، وحتى إن ظلت الإحالة على الخوف تضطلع بدور مركزي، يشمل عواطف أخرى ذات صلة مثل الغضب والاستنكار أو الوهن كما يشمل الانشغالات السياسية والحكايا حول أسبابها والأفعال التي تساعد على معالجة اللاأمان.

والآن ما اللاأمان بالنسبة إلى المستجوبين الأرجنتينيين؟ ليس اللاأمان وخرق القانون في علاقة مباشرة ضرورة. إن خصوصية اللاأمان هي عشوائية الخطر. يبدو اللاأمان في صورة تهديد للممتلكات وللأشخاص يمكنه أن يَنْقَضَّ على أيّ كان. أحد وجوهه يتمثل في إعادة توطين الخطر بما يؤدي إلى انتفاء التقسيم واضح التحديد بين المناطق الآمنة والمناطق غير الآمنة. أحد وجوهه الأخرى يتمثل في عدم القدرة على تحديد أشكال الخوف ذلك أن تمثّل التهديد يكف عن الاقتصار على الصور الأكثر وصما مثل شباب المجموعات المهمشة بل بوصفه شمولا بالشك لأيّ كان. تعزز تعددية الصور والأماكن الخطرة هذه الشعور بتهديد عشوائي يحضر في كل مكان.

ركزت الدراسات في الموضوع على الإجابة على عدد من الأسئلة والتناقضات: لماذا يبدو اللاأمان أعلى في صفوف المجموعات الأقل مصابا مثل النساء والشيوخ؟ ما العلاقة بين الخوف والطبقة الاجتماعية؟ عاينتُ هذه التناقضات في الحالة الأرجنتينية مستخدما المراوحة بين الطرائق الكيفية والكمية. اعتبارا للطبقة لا تبدو الاختلافات الكمية تامة الوضوح ولكن ومن وجهة المعطيات الكيفية أثبت التباعد والتقارب محاور تمييز هامة. تدرك الطبقات الشعبية قربا ماديا واجتماعيا شديدا للتهديد فيما تكابد الطبقات الوسطى والعليا بعدا اجتماعيا وماديا عن الجريمة. يؤثّر الدُّنُوُّ في نمط القراءة السياسية المبنية على العموم «من الأسفل في اتجاه الأعلى». في مناطق الجوار الشعبية تنتظم حوارات محلية عديدة ترتكز على حالات ملموسة وتتمحور المناقشة حول الجماعة ذاتها. في مناطق الطبقات الوسطى والعليا تتبنى المسافة نظرة «من الأعلى في اتجاه الأسفل»، أي تفسيرا يرتكز على السياقات الاجتماعية أو السياسية من دون الإحالة على حالات فردية. ولكن الدنو لا يعني في ذاته قَدْرا مضافا من التعاطف ولا المسافة مواقف عقابية أكثر عددا. يمكن للقُرْب أن يحمل على إدانة أخلاقية إذ، وعلى الرغم من عسر الظروف الاجتماعية المشترك بين الجميع، فإن « أبنائي لا يسرقون»، أو، وفي المقابل يمكن لأفراد العائلة أن يُعْذَروا على أساس أنهم «ليسوا أطفالا سيئين في دواخلهم». نموذجيا ترتبط المسافة المُبَاعِدَة باستدعاء الأسباب البنيوية ولكن مصحوبة أيضا بالموقف الرجعي الأقصى الذي يعتبر أن الحاصل هو «شكل معاصر من حرب العصابات» وعليه فإن قدرا مزيدا أو منقوصا من العقابية ليس مخصوصا بطبقة بعينها وهو ما يمثّل واحدا من موضوعات الجدل في المنطقة.

يتمحور التناقض المركزي حول النوع الاجتماعي. أظهرت المعطيات على الدوام خوفا أكثر في صفوف النساء كما أن المحاورات ذات الصلة أبرزت هذا الاختلاف. ولكن عندما ينتشر اللاأمان تصبح الاختلافات المصطبغة بأثر النوع الاجتماعي حول « قواعد المشاعر و التعبير» أقل عددا. يصبح الشعور بالخوف والتعبير عنه بالنسبة إلى الرجال أكثر مشروعية وبصفة أعم، وخلال المراوحة بين التحقيق (الكمي) والمحادثات الكيفية انتهت نفس العناصر التي قالت في التحقيق إنها لا تخاف، إلى القول خلال المحادثات إن لها خوفا «منطقيا» باعتبار ما يحدّد الوضعية.

عندما كان الخوف نَعْتًا لأَقليّة كانت ملاحظته ممكنة في علاقة مباشرة مع المواقف التسلطية. يتعلق الجدل الراهن في المنطقة بما إذا كان تفاقم مشاعر اللاأمان مولدا للمزيد من العقابية. يكون اللاأمان على العموم مختلفا حسب الإيديولوجية السياسية السابقة وإن كان يمكن له أيضا أن يجرف القناعات الديمقراطية. يمكن لنا من خلال حكايا اللاأمان أن نرى ما نسميه «الانزلاق العقابي»، عنيتُ التحول من مواقف غير ضارة نحو مساندة إجراءات أكثر حزما، وإن لم تكن الأكثر تطرفا. ثمة هناك أكثر مما عداه انجراف لما يسمى التفسير بالأزمة الاجتماعية. في العشرية المنصرمة كان هناك إجماع على أن الجريمة أثر سلبي للإصلاحات النيوليبرالية، و اليوم، وبعد سنوات عدة من نمو الفقر واللامساواة وتفهقرهما، تناقص الفقر نزرا قليلا. وعليه فإن ذلك يضع أمام الآكاديميا الأمريكية اللاتينية تحدي بناء تفسيرات أكثر ذكاء للخطاب العقابي المتصاعد، إذ، تماما مثل ما حدث في سياقات أخرى، تشير مثل هذه الخطابات العقابية إلى أن التفسيرات التي تحولت من البنية الاجتماعية إلى إدانة الأشخاص.

ليس يوجد قليل من الأسئلة التي يمكن أن يضعها انتشار اللاأمان. يمكن للأجوبة التي يدلي بها الآكاديميون أن تساعد على إنجاز شيء ما وسيكون الشكل الذي يمكن لنا به أن نسوّق هذه الأجوبة إلى باقي المجتمع مرتهنا إلى حد بعيد بنوعية ديمقراطياتنا. ■

الطبقة الوسيطة الزنجية في كولومبيا: طباق اجتماعي

بقلم مارا فيفروس فيغويا (Mara Viveros Vigoya)، جامعة كولومبيا الوطنية، بوغوتا، كولومبيا

أظهرت العديد من الدراسات أن السكان الكولومبيين ذات الأصل الأفريقي يحصلوا على العائد الأدنى مستوى، ونوعية الحياة الأكثر فقرا ويسجل أعلى نسب تشغيل للأطفال وأدنى نسب الانخراط في التأمين الاجتماعي وأعلى نسب القابلية للتدهور الديمغرافي مقارنة بأي مجموعة في كولومبيا (Urrea et al.، ٢٠٠٤). بل لا يزيد على التأكيد على استمرار التمييز العنصري في كولومبيا ذلك العدد القليل من الرجال السود والعدد الأقل من النساء السوداوات في المواقع الأعلى في المجتمع المدني والدولة وفي الشركات الخاصة تماما مثلما هو الحال سواء بسواء في ما يخص الصور الإيجابية عن الرجال والنساء السود في وسائط الإعلام والتمثلات الرمزية السارية عنهم في الأماكن العامة. أمن معنى في هذا السياق للاعتماد على دراسات العدد القليل من السود الذين لم يكونوا عرضة لمثل هذه التجارب؟

أحد الأجوبة يقول إن ذلك يمكن أن يكون مناسبا في سياق مثل الكولومبي بحيث يساعد على إبراز مسارات تقدم الكولومبيين ذوي الأصول الأفريقية الاجتماعي للعيان على اعتبار أن تلك السيرورات قليلة الخضوع للدراسة ومقصية على العموم من سرديات التاريخ الوطني. وعليه فإنهم يوفرون بديلا ممكنا للتمثلات التي تتناقض مع تمثلات هذه الساكنة النمطية.

من خلال دراستنا نعرف الآن بعض الوقائع التي كنا نجهل حول هذه الساكنة بما في ذلك الكيفية التي بها يتقاطع النوع الاجتماعي والعرق والطبقة من أجل بناء ذوات من الطبقة الوسيطة الزنجية. أعرض هاهنا البعض من النتائج التي توصلت إليها في دراسة واسعة النطاق (Viveros and Gil، ٢٠١٠).

> من هم الساعون إلى الارتقاء؟

في مجرى القرن العشرين، وعبر تراكم رأس المال الاقتصادي في المناطق الريفية والمنجمية، وإلى حد بعيد بفضل تزايد فرص الوصول إلى التعليم العالي، تكونت «طبقة وسيطة زنجية» في مناطق مختلفة من البلاد. كان بمقدور هذه الطبقة أن تحصل على فضاء اجتماعي وسياسي واقتصادي على الرغم من تواصل التحيز العنصري والتمييز. تمت سيرورات الحراك الاجتماعي الصاعد الذي أنجزته الساكنة السوداء في كولومبيا بطرق اتبعت خصوصيات السياقات الجهوية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي انبثقت فيها. يحيل التحليل الذي أقدمه هاهنا على أناس يعيشون في مدينة بوغوتا جاء أغلبهم من منطقة (المحيط) الهادي، وهي المنطقة التي تحوي أكبر قسم من الناس ذوي الأصول الأفريقية في البلاد.

على قاعدة تحليل مساراتهم الاجتماعية على امتداد ثلاثة أجيال، هم ذواتهم، آباؤهم وأجدادهم، حددنا مجموعتين رئيستين يعرفهما نمط الحراك الاجتماعي: أولئك الذين يعيدون إنتاج وضعيات آبائهم وأجدادهم الاجتماعية وأولئك الذين يتجاوزون اجتماعيا ما كان عليه أسلافهم. يمكن لنا داخل المجموعة الثانية أن نميّز بين معدّلات حراك مختلفة إذ يصعد البعض تدريجيا فيما يصعد آخرون بسرعة أكبر. تشير نتائج تحليلنا إلى أن مسارات النساء تتحو إلى أن تكون أكثر إعادة للإنتاج من مسارات الرجال أي وبعبارة أخرى تشهد النساء حراكا صاعدا أقل مما يشهده الرجال، ومعظم النساء اللائي أنجزن ذلك هن على الأغلب بنات مهنيين أو أناس ذوي مستوى متوسط من التعليم على الأقل. وعلى النقيض من ذلك يكثر في الرجال أن يكونوا أبناء أو أحفاد أناس ذوي تعليم منخفض المستوى أو من دون تعليم. إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أن غالبية أجداد الرجال والنساء مجتمعين لم يرتادوا المدرسة أمكن لنا أن نستنتج أن نقطة التحول الرئيسة في مسارات التعليم كان بين جيل الأجداد وجيل الآباء.

> موقع النوع الاجتماعي في رقي الأفروكولومبيين الاجتماعي

بالإضافة إلى تزايد الدخل، يقضي الحراك الاجتماعي بتبني «تطبع طبقي» يتسم هو أيضا، حتى وإن بدا أنه لا يحيل إلا على اختلافات في رأس المال الاجتماعي والثقافي، بكونه مصطبغا بأثر النوع الاجتماعي والعرق. لا تعرّف الطبقات الوسيطة في تناقضها مع الطبقات الشعبية (الأدنى منها) فحسب بل في علاقة بالعديد من العناصر المكونة لهويّات النوع الاجتماعي الهيمنية. في هذا المعنى يقضي الحراك الصاعد بالنسبة إلى السود من الرجال والنساء بتثبيت المعايير المهيمنة

>>

من وجهة النوع الاجتماعي وتبني قيم ومعايير تجعل المرأة أو الرجل «محترما» في المجتمع الكولومبي وهي تلك التي تنسب عادة إلى البيض من الرجال والنساء أو إلى الخلاسيين منهم (المنحدرين من أبويين مختلفي العرق- المترجم). تجارب البناء الذاتي هذه دائمة التأثير في العناصر التي تخوضها محوّلة السود من الرجال والنساء إلى ذوات منضبطة ولبقة التصرف وذوات صارمة في إنجازاتها في العمل كما في المنزل.

كان ذلك يعني في حالات النساء المستجوبات أن يكن أمهات صالحات وزوجات مثاليات تتسم أصواتهن وحركاتهن وسلوكهن الاجتماعي بالهدوء والوقار مكيفات تقديمهن لذواتهن بما يوافق صورة الأنوثة التي تثمّنها الطبقات الاجتماعية الراقية. من أجل الحفاظ على احترامهن عمدت هؤلاء النسوة إلى نزع السمات الجنسية الفارقة عنهن بدءا من أعمارهن الغضة أو بعد الزواج رادات على اتهامات مفترضة بكونهن بذيئات أو «ذوات أخلاقية مريبة».

لدى الرجال، حَفَّزَ مثل تبني المعايير المهيمنة هذه على التحلي بما يوافق المستخدمين المسؤولين والمدخرين الجيدين معدلين من تعبيرهم عن الميل إلى السلوك الخليع، عادلين عن السلوك الذي يضع موضع اتهام رجولتهم متخذين عادات مرهفة في الفضاء العام بغية النَّأي بأنفسهم عن الفحش والفسق المنسوبَ إلى رجال الطبقات الشعبية السود.

> ارتقاء فردي لا جماعي

في كولومبيا كان حراك السود مسارا فرديا على النقيض مثلا من الفريق الذي شهد حراك الساكنة السوداء في الولايات المتحدة (فرايزر Frazier، ١٩٧٥) . لم يكن بمستطاع أفراد هذه الطبقة الوسيطة الصغيرة في كولومبيا الاعتماد على دعم مجموعة من أجل مساعدتهم على إدامة نجاحهم وتوسيع مظلة منافعهم إلى ما يتجاوز عائلاتهم النواة وأقاربهم. تؤكد سبل الحراك الاجتماعي الصاعد التي تم تحليلها هاهنا هذه الوضعية حيث سحب أكثر السود الذين لاقوا بعض النجاح ما تحصلوا عليه على التواريخ الشخصية المبعثرة والعائلية التي مكنتهم من حفر سبل لهم مُوصل إلى مجالات عيش الطبقات الوسيطة، ولكنهم لم يحدثوا رقيا ذا بال للمجموعة الطبقية أو الإثنية برمتها ولا كانوا قادرين على تغيير تمثلاتهم السلبية لهذه المجموعة. وفي نفس الوقت يظهر وجود مجموعة من سود الطبقة الوسيطة، مهما كانت ضآلته، أن «العرق» لا يتصل دائما في ذات الاتجاه وأن من المستحيل فصل العرق عن تقاطعات الطبقة و النوع الاجتماعي والجنوسة التي تنتجه وتديمه.

تكتسي قضية الحراك الاجتماعي أهمية خاصة عند التفكير في حلول للتهميش الاجتماعي والتمييز العرقي اللذين تعاني منهما الساكنة الآفروكولومبية. تعتبر سبل حراك الساكنات السوداء في كولومبيا الصاعد استثناءات للقاعدة حيث ما من ظروف اجتماعية تيسّر ذلك الارتقاء. يلفت تحليل مسار حراك السود الصاعد انتباهنا إلى وجود التحيّز العرقي وديمومته وإلى تعقيد التجربة وإلى حدود المقاربة التي تتبنى الاعتقاد بأن الطبقات الوسيطة السوداء في ذاتها ستضطلع بدور طليعي في الإجابة على مشكل هامشية السود الاجتماعية في كولومبيا. ■

مراجع:

Frazier. F. (1975) Black Bourgeoisie: The Rise of a New Middle Class in the United States. London: Collier Macmillan Publishers.

Urrea. F.. Ramirez. H. F.. and Viáfara. C. (2004) "Socio-Demographic Profiles of the Afro-Colombian Population in Regional Urban Contexts of the Country in the Early Twentieth Century." In M. Pardo et al. (Eds.). Pan-Afro Social Studies in the Pacific. Bogotá: ICANH. National University of Colombia: 213-269.

Viveros. M. and Gil Hernández. F. (2010) "Gender and Generation in Black People's Experiences of Social Advancement in Bogota." Maguaré 24: 99-130.

في الوضع الحقيقي لعلم الاجتماع في روسيا: ضد معارك فاخشتاين

بقلم ن.ف. رومانوفسكي (N.V. Romanovsky) و ز.ت. توشتشنكو (Zh.T. Toshchenko)،
محرري المجلة الروسية دراسات سوسيولوجية

عالما الإجتماع البارزين فلاديمير يادوف (يساراً) ونيكيتا بوكروفسكي (يميناً) في لقاء مجتمع علماء الإجتماع المختصّين في موسكو، حزيران ٦، ٢٠٠٨

دفعنا مقال فيكتور فاخشتاين (Victor Vakhshtayn) المنشور في العدد ٣ من السلسلة الثانية من حوار كوني إلى كتابة هذا التعليق حول وضع علم الاجتماع في روسيا. تقدير فاخشتاين لعلم الاجتماع الروسي الراهن مبني على ما قصر الكاتب عليه حجاجه من القضايا المنهجية. يهاجم فاخشتاين معارضيه مستخدما تعابير عامة بسبب كونه غير منخرط في البحث الخبَري (الإمبيريقي) ولا صلات له عمليا مع علماء الاجتماع في الأقاليم ولا يفهم إذاً مشاكلهم. ومن دون نكران حق فاخشتاين في تبني وجهة نظره فإننا نختلف كليا مع تقديره لعلم الاجتماع الروسي ونرغب في أن نعرض فهمنا الخاص للقضايا.

بوصفنا محررين للمجلة الآكاديمية دراسات سوسيولوجية (سوسيولوجيشيستيكيي إيسليدوفانيا أو سوسيس، والتي يقرأها حسب فاخشتاين ٦٦ بالمائة من المشاركين في مؤتمر علم اجتماع عموم روسيا سنة ٢٠٠٨) نحن على دراية بتوجهات البحوث التي يديرها علماء الاجتماع من موسكو وسان بيترسبورغ وغالبية مدن البلاد الأخرى. في هذه المواقع ينجز الآلاف من زملائنا بحوثهم محققين نتائج وللحقيقة ليس من دون مصاعب وخيبات.

> ما حال علم الاجتماع الروسي بالضبط؟

أولا يمكن للمرء أن يعثر على مقاربات متنوعة وتجديدية تستطلع معظم التحولات الاجتماعية ذات البال في البلاد. ألّفَتْ الجماعة العلمية أعمال ف. أ. يادوف (V.A. Yadov) الذي بنى دراسات خبرية بغية تطوير معالجة طريفة للوعي والسلوك المتغيرين لدى عمّال الإنتاج، كما ألفوا عمل الأستاذ ن. إ. بوكروفسكي (N. E. Pokrovsky) عضو اللجنة التنفيذية لج د ع اج الذي درس مسارات الحياة الريفية في الجزء الشمالي من روسيا الأوروبية، كما ألفوا عمل دكتور العلوم الاجتماعية ف.ك. ليفاتشوف (V.K. Levashov) الذي فحص توجهات جديدة في تطور المجتمع الروسي على قاعدة عشرين عاما من التدريب ارتكزت على الإطار النظري للتنمية المستدامة. وأخيرا نشير إلى دراسة واحد من محرري هذا التعليق، توشتشنكو، المعنونة الإنسان المتناقض التي علق عليها بامتياز ب. ستومبكا (P. Sztompka) وز. باومن. (Z. Bauman) و ت.إ. زاسلافسكايا (T.I. Zaslavskaya).

ثانيا اتسعت مجموعة مواضيع البحث وجغرافيتها. لنعرض بعض الأمثلة. قضية الإبداع في المجتمع الروسي، التي لم تدرس من قبل، هي موضوع كتاب يو. غ. فولكوف (U.G. Volkov) عالم الاجتماع من روستوف كما تم التدليل على إمكانية إقامة علم اجتماع عصبي من قبل أ.ف. شكوركو (A.V. Shkurko) الجامعي من نيزمي نوفغورود عاكسا الآفاق الجديدة في تمفصل العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية. على قاعدة مقاربات مورفولوجية (الدخل، التعليم، السلط) وخطابية رمزية (الصيت، المعنى، الوضع) متظافرة درس الأستاذ أو. أ. كارمانادوف (O.A. Karmadonov) من إيركوتسك التنضيد الاجتماعي كاشفا من ثم العديد من القضايا المخصوصة في المجتمع الروسي المعاصر.

ثالثا بلغت الممارسات البحثية أعماقا جديدة ومنها تطبيق المفاهيم المعروفة (مثل الشيء العمومي res publica) من أجل حل قضايا المدن الروسية مثل الاستخدام العقلاني للبنية التحتية الاجتماعية الذي تم من قبل فريق من الباحثين الشبان يرأسهم أو. خارخوديـن (Kharkhordin) من جامعة سان بترسبورغ الأوروبية.

رابعا فتحت حقائق روسيا ما بعد السوفياتية الجديدة حقولا تكاد تكون جديدة تماما على البحث مثل المشاكل الاجتماعية التي تسببت فيها السوق التي حللها الأستاذ ف.ف. راديف (V.V. Radaev) من المعهد العالي للعوم الاقتصادية الذي اشتهرت منشوراته لا في بلدنا فحسب بل في خارجه أيضا.

وأخيرا، تنجز عمليا كل جامعة في روسيا مشاريع بحث مع زملاء من أوروبا الغربية ومن الولايات المتحدة ومن الهند ومن الصين ومن اليابان وبلدان آسيوية أخرى. لسنا في حاجة هاهنا للإدلاء بأمثلة تجسّد ذلك بما أن التواصل ممارسة يومية تثري المشاركين من خلال جهودهم البحثية المشتركة.

بصفة أعم، تتأكد أهمية علم الاجتماع وإثارته للاهتمام عبر الظهور المنتظم للدوريتين ذوي اللسان الإنجليزي بحوث سوسيولوجية و المجتمع والتربية اللتين تنشرهما م. إ. شارب (M.E. Sharpe) وتتكونان من مقالات تُسْتَجْلَبُ من مجلاّت علم الاجتماع الروسية المدعومة بمؤسسات أكاديمية مستقلة أو جامعات، وهي وسائل الباحثين لمشاركة الآخرين نتائج استقصاءاتهم. أغلب المجلات تفتح صفحاتها للجدال والنقد.

> ما هي مشاكل على الاجتماع في روسيا؟

يكون الأمر غريبا لو لم تكن ثمة مشاكل ولكن لا يندر أن تكون مشاكل علم الاجتماع تلك ناجمة عن نجاحاته. نعد أكثر من ٣٠٠ قسم علم اجتماع جامعي ويتدرب علماء الاجتماع في ما يقارب ١١٠ جامعات وهو ما لا يمكن تجاوزه من دون الافتخار به. على أن نمو مؤسسات التدريب المكثف لاختصاصيي المستقبل خلال العشرين سنة الأخيرة أدى كذلك إلى العديد من الشوائب. يشكو التدريب في عدد من الجامعات من نقائص أو هو قابل على الأقل للتحسين إذ تم انتداب أطقم التدريس من اختصاصات أخرى ليس أعضاؤها في النهاية إلا مستجدين بصدد تعلم مهنة علم الاجتماع.

يمكن لنا القول إن معطيات علم الاجتماع جزء مكوّن من مجتمع المعرفة، ولا يوجد في واقع الحال في روسيا صحف ومجلات ووسائط إلكترونية لا تستخدم تلك المعطيات. على أن هذا الإنجاز حفّز عمليات تلاعب باسم الشركات ومجموعات أخرى عظيمة القوة تمارس منع جريان المعلومة لفائدة مالكي وسائط الإعلام. يظهر أناس ينسبون أنفسهم إلى علم الاجتماع ينشطون خاصة خلال الحملات الانتخابية في مختلف المستويات من الفيدرالية حتى المحلية. يستخدم علماء الاجتماع المزيفون هؤلاء من أجل توجيه الحملات الانتخابية لفائدة النواب الذين يدفعون لهم على أسس تعاقدية.

في تعارض مع مثل هذه «السوق» تكون التوجهات (وفي هذا كان فاخشتاين على حق) انسحابا نحو « علم اجتماع لعلم الاجتماع». من الأكيد أن على علم الاجتماع أن يفحص أسسه ومعنى العلم ومنهجه وتقنياته ولكن إذا ما صار ذلك هدفا في حد ذاته قاد من دون شك نحو عزل لعلم الاجتماع عن المجتمع وتحويله في منتهى الأمر إلى علم زائد عن الحاجة غير ضروري للمجتمع. ولكن إذا ما كان مجادلنا يعني أن ذاك هو ما ينشغل به علماء الاجتماع الروس فذاك ببساطة ليس حقيقيا إذ تؤكد القياسات البيبليوميترية أن ما يتجاوز ٨٠ بالمائة من أعمال علماء الاجتماع الروس تعالج قضايا جوهرية مثل الاقتصاديات والعمل والمدن والحياة الريفية والشباب والتعليم والسلوك الانحرافي والدين والحكم ، إلخ.

> ما الخاطئ في الاسترسال وراء الأفكار حول سيرورات المجتمع؟

يستاء فاخشتاين مما يعتبره تحولا نحو لغات سوفياتية جديدة أو مناوئة للسوفياتية في علم الاجتماع إذ فيما يتمسك البعض بعادات قديمة قد تكون متقادمة وبدائية خان آخرون مُثُل الليبرالية التي كانوا اعتنقوا طوال ما يقارب العشرين سنة الموالية للحقبة السوفياتية. ليس في الأمر من مفاجأة حسب رأينا. انتهى «التقليديون» إلى الاستنتاج القائل إن حقائق البلاد تدعو إلى طرائق جديدة في دراسة الراهن فيما وجد علماء الاجتماع ذوو القناعة الليبرالية آمالهم غير متحققة إذ أن روسيا اتخذت لها طريقا مختلفة واقترضت وصفات لتغيير الاقتصاد والحياة الاجتماعية يعتبرونها غير ذات شرعية. وعليه فإن المجموعتين اللتين واجهت الواحدة منهما الأخرى طوال ما يقارب العشر سنوات تتقاربان الآن في نظراتهما واستنتاجاتهما. لم يكن ذلك بسبب رغبتهما في التقارب بل لكون تحليل الواقع المجتمعي (الاقتصادي، الاجتماعي، السياسي) قادهما إلى نتائج متماثلة. وعلى الرغم من استمرار الخلافات فإن الجماعة العلمية الاجتماعية في نظرنا تبنت تدريجيا الموقف الذي يعتبر أن الحوار والنقاش ومقارنة الأفكار مبنيا على تحليل الواقع خبريا هي الطريق الأكثر خصبا ووثوقا التي يجب توخيها خاصة إذا ما كان المرء مهتما بالعلم أكثر مما يفعل إزاء مصالح المجموعات.

لِنَقُلْ في الختام بضع كلمات حول أسلوب فاخشتاين في المجادلة ذاك الذي نعارضه تمام المعارضة. هو يعالج أطاريح الأشخاص وآراءهم، بما في ذلك ما يراه هو، على أنها موقف جماعة روسيا العلمية الاجتماعي. على أن تعاليقه لا تحدد تخصيصا أي اسم بحيث ينزع الكاتب إلى منازعة خصوم خَفَايَا الأَسْمَاء. ذاك أسلوب في المجادلة موروث، ويالسخرية، من حقبة سابقة هو يرفضها. ■

علم الاجتماع البريطاني في زمن التقشف

بقلم جون د. بريوور (John D. Brewer)، جامعة أبردين، اسكتلندا،
رئيس الجمعية البريطانية لعلم الاجتماع، ٢٠١٠-٢٠١٢

احتفلت

الجمعية البريطانية لعلم الاجتماع (ج ب ع اج) بعيد ميلادها الستين في ٢٠١١. بما لا يتجاوز ٢٥٠٠ عضو هي صغيرة في سياقها العالمي ولكن قوتها، بمقياسها الخاص، تتزايد. ذلك هو أعلى عدد من المنخرطين انضم إلينا على مر السنين كما يوجد ثمة عدد آخر من علامات الصحة الجيدة. نحن نصدر الآن أربع مجلات ولنا أكبر عدد من مجموعات البحث في تاريخنا كما أن طاقمنا التسييري والإداري يعد أضخم عدد له كما كان مؤتمرانا السنويان الأخيران الأضخم مطلقا. أنجزنا هذه السنة أكثر من ٥٠ حدثا. تم كل ذلك بالطبع في بلد بات شهيرا بسلعنة التعليم العالي وإنهاء الجامعة ذات التمويل العمومي واستخلاص الرسوم من الطلبة مواصلا اعتماد التقشف المدمر. ليس ذلك مصادفة ذلك أن التقشف مشغل هام لعلم الاجتماع البريطاني.

كان موضوع مؤتمر ٢٠١٢ الذي انعقد في ليدز هو علم الاجتماع في زمن التقشف. كان ذاك المؤتمر الأضخم خارج لندن. وباعتبار وصولي لنهاية عهدة الثلاث سنوات رئيسا، وجهت رسالة تمحورت حول القيمة العمومية لعلم الاجتماع في زمن التقشف. في خطابات عمومية أخرى ناقش مايكل بوروواي (Michael Burawoy) وزيغمونت باومن (Zygmunt Bauman) مساهمة علم الاجتماع في إضفاء المعنى على تبعات الأزمة الاقتصادية اجتماعيا وسياسيا وتحدث ستيفن آكريود (Stephen Ackroyd) وروزماري بات (Rosemary Batt) مباشرة في صلب طبيعة الأزمة المتصاعدة بوصفها نتيجة لإضفاء الصبغة المالية على اقتصادي أمريكا والمملكة المتحدة. كان معنا مشاركون من ٢٤ بلدا آخر وعددا ضخما من العروض في مواضيع مختلفة. قبلنا ٦٢٢ ورقة علمية واحتفظنا باحتياطي من ٦٢ ورقة وضعت في قائمة انتظار تحسبا لانسحابات.

للتقشف آثار بديهية على علم الاجتماع باعتباره موضوعا اكاديميا في بريطانيا. يتهدد بعض أقسامه الغلق أو الانكماش ويخشى أن تصير مطالب انتساب الطلبة إلى أن تكون مطالب انتساب لجامعات تتدهور على العموم تحت أثر الرسوم أو تتجه إلى خيارات ذات سبل أوضح مسارا. تدريس علم الاجتماع في جامعة ستراتشكلايد (Strathclyde University) مثلا بصدد الغلق وتسجل أقسام علم الاجتماع انحدارات في طلبات تسجيل الطلبة بنسب متفاوتة بعضها مفزع. تزدهر من ناحية أخرى بعض الأقسام وتسجل تصاعدا في طلبات تسجيل الطلبة بعضها مذهل هو أيضا، وتعلن أقسام أخرى عن افتتاح مراكز قارة جديدة. قد يكون من المبكر تحديد الأثر الذي سيكون للتقشف على حاجيات علم الاجتماع على الرغم من حفاظ ج ب ع اج على يقظتها.

على أن أثر التقشف على الاختصاص مختلفة بعض الشيء والقضية هاهنا أكثر وضوحا. أبرز مؤتمرنا الذي عقدنا سنة ٢٠١٢ أثرين إيجابيين. أعاد التقشف تعزيز التحليل الطبقي في علم الاجتماع وعلم اجتماع العمل والصناعة معيدا التوازن بعد «المنعطف الثقافي» وجدد الالتزام مع ج ب ع اج. اقبلوا اعتذاري هاهنا على تركيزي على هذه. على اعتبار تشظي الاختصاص بوصفه في آن معا موضوعا وموقعا إداريا في المعاهد متعددة الاختصاص، يبدو أن علماء الاجتماع يستخدمون ج ب ع اج سبيلا للحفاظ على هويتهم بوصفهم علماء اجتماع محترفين. ومع افتقاد قسم علم الاجتماع ذي الموضوع الوحيد يتوزع الأساتذة والباحثون على وحدات إدارية لا يمكن التعرف عليها، كثيرا ما تكون قليلة العدد وتعامل ج ب ع اج على أنها معادلة لبنية الأقسام القديمة بمجموعات البحث التي تحل محل منتدى القسم بحيث تكون موقع هويتهم المهنية. جعل رئيس الجمعية المنتخب جون هلموود (John Holmwood) من ضرورة علم الاجتماع موضوعا لعهدته الإدارية وفي ذلك تعتبر ج ب ع اج مثالا جيّدا. ■

مؤتمر يوكوهاما

جسر نحو عالم أكثر مساواة

بقلم كويشي هازيغاوا (Koichi Hasegawa)، جامعة توهوكو، سنداي، ورئيس اللجنة التنظيمية المحلية لمؤتمر ج د ع اج الدولي لسنة ٢٠١٤ في يكوهاما، اليابان

جسر خليج يوكوهاما.

خلال شهر ماي الماضي، وتحت القيادة القوية لشوجيرو يازاوا (Shujiro Yazawa) رئيس جمعية علم الاجتماع اليابانية، بعث علماء الاجتماع اليابانيون شبكة تضم الآن أكثر من ١٥٠ عضوا للبحث والإعلام حول كارثة تسونامي ١١ آذار- مارس ٢٠١١. جلبت كوارث الزلازل والتسونامي وحادثة الطاقة النووية الكثير من العمل لعلماء الاجتماع بما في ذلك إجراء التحقيقات الميدانية في كل المناطق المتضررة تقريبا.

> تحديات أمام علماء الاجتماع

ما دور علم الاجتماع ومهامه إزاء مثل هذه الكارثة الرهيبة؟ كيف لنا أن نجري تحقيقات في مثل هذه الوضعية بالغة العسر؟ كيف لنا أن نؤسس حوارا ذا معنى مع لاجئي الكارثة وكيف لنا أن ندعمهم باعتبارنا علماء اجتماع. حتى الآن ليس بمستطاع ٣٦٠٠٠٠ العودة شخص إلى منازلهم ويحتشد أغلبهم محشورين في إقامات مؤقتة. ولا يزال

>>

١٥٠٠٠٠ في منطقة هوكوسيما لوحدها خارج مواطنهم نتيجة لأوامر الحكومة أو بمحض إرادتهم.

نحن نواجه العديد من القضايا السوسيولوجية في المستويات الصغيرة والوسيطة والكبيرة مثل إعادة التفكير في العلاقة بين العلم والتقنية والسياسة، وفي التخطيط الحضري لإعادة بناء الجماعات واستعادة الفلاحة والزراعة والصيد وخلق الوظائف...إلخ. تعالج المنظمات غير الحكومية مسألة العناية بالمسنين والأطفال وذوي الإعاقات والأجانب، وأوضاع العائلات التي تشهد انفصالا جغرافيا، وأوضاع اللاجئين الذين فقدوا الأهل والأصدقاء والمساكن والوظائف. وتسجل مشاكل الإدمان على الكحول والعنف المنزلي تصاعدا مما جعل البعد المصطبغ بأثر النوع الاجتماعي مركزيا في للإمساك بالوضعية. ثمّة إذا فصول درامية سوسيولوجية كثيرة وبطلات وأبطال.

> حركة احتلوا النسوية المعادية للنووي في اليابان

ينتاب الكثيرين منا القلق حيال وضعية مفاعلات فوكوشيما النووية المتضررة الراهنة. الوضعية في استقرار، ومستوى الإشعاعات خارج دائرة ما فوق الثلاثين مترا والمواقع شديدة الحرارة آمن تماما مثلما هو الحال في طوكيو ويوكوهاما و سنداي مُنْطَقَتي. أينما حللتُ أصطحبُ مقياسا لِلتأكد من مستوى الإشعاعات، وعلى أثر الحادثة نشرتُ كتابا جديدا لعموم القراء حمل عنوان نحو مجتمع ما بعد نووي.

تنتقد النساء في فوكوشيما وفي ما عداها شركة الطاقة الكهربائية والحكومة الوطنية نقدا مفتوحا فيما يتعلق بدورهما في الكارثة، وهن يطالبن بالحماية لأبنائهن وعائلاتهن وبالتعويض الكامل لما خسرنه وتطهير المناطق المتضررة من الإشعاعات. تقام المسابقات الجماهيرية والمحاضرات العمومية والاجتماعات الدراسية كل أسبوع تقريبا. ومنذ منتصف سبتمبر، وعلى خطى حركة احتلوا في الولايات المتحدة، تحتل نساء من فوكوشيما سلميا موقع وزارة الاقتصاد والصناعة، الوزارة الملومة في الحادثة النووية. ترفض النساء المغادرة فيما لم تستعمل الشرطة والحكومة العنف ضدهن خوفا من اندلاع انتفاضة عمومية إذا ما فعلتا.

> تجسير عالم منفصل بعضه عن بعض

على أثر حادثة الحادي عشر من مارس- آذار راجعت مدينة يوكوهاما تاريخ التسونواميات التي سبقت افتتاح الميناء كما راجعت الخطوط العريضة لحمايته تأسيسا على تسجيل تسونامي صغير حدث قبل ٣٠٠ عام. تتهيأ اللجنة التنظيمية اليابانية المحلية بالتعاون مع لجنة ج د ع اج التنفيذية وجمعية علم الاجتماع اليابانية لإقامة أكثر المؤتمرات تنظيما. هدفنا هو جلب أكثر من ٥٠٠٠ مندوب مثلما تم في مؤتمر غوثمبرغ سنة ٢٠١٠. نحن ندعو علماء الاجتماع للمجيء إلى يوكوماها لاختبار المجتمع الياباني المتعافي والقوي.

من شارع المؤتمر، باسيفيكو يوكوهاما، يمكن للمرء أن يرى جسرا جميلا، جسر خليج يوكوهاما، إحدى علامات المنطقة. والجسور مثلما قال عالم الاجتماع الألماني جورج زيمل تعبير مرئي عن إرادة الارتباط لدينا. أنا مؤمن أن عملنا العلمي الاجتماعي يَجْسُرُ ما بين الشرق والغرب والجنوب والشمال والماضي والمستقبل والإناث والذكور والطبيعة والمجتمع، أي وبعابرة أخرى، يَجْبُرُ الانقسامات من أجل عالم أكثر مساواة. يوكوهاما في انتظاركم لتعبروا الجسر. ■

جامعات إيطالية معروضة للبيع

بقلم لاورا كورارادي (Laura Corradi)، جامعة كالابريا، إيطاليا

«تنجو الجامعة الإيطالية بحياتها في عسر. إنها تحيى ظرفا من السقم ومن تصاعد التهميش تعز أشباهه في تاريخنا المعاصر.لقد شهدت موارد التسيير المؤسسي الاقتصادية لواحدة من أعرق الآكاديميات في العالم تقليصا حادا زمنا طويلا قبل أن تطل الأزمة الحالية برأسها على الرغم من توفر تمويل نزير يسمح للجامعة بأن تنطلق مقارنة ببلدان مصنعة أخرى. هُضِمَ جانب الإنسانيات وجزء كبير من العلوم الاجتماعية هضما نسقيا بغية الدفع باختصاصات أخرى تعتبر أكثر نفعا للنمو الاقتصادي وللسوق. مثل هذا الاتجاه يربطنا بأوروبا وببلدان أخرى. على الدروس الجامعية أن تكون نافعة حسب قيم السوق وإلا فإنها لن تؤمّن بسبب غير قابلتها للتحمل اقتصاديا». هذا الاستشهاد مستل من افتتاحية وثيقة عنوانها الجامعة التي نريد كتبها أستاذان إيطاليان هما بييرو بيفيلاكوا (Piero Bevilacqua) وأنجيلو دورسي (Angelo D'Orsi) ووقعها إلكترونيا المئات من الأساتذة الإيطاليين والباحثين وذوي الهشاشة الوظيفية عنيتُ شغالي فكر غير مرسمين يحتل أغلبهم مواقع وقتية لما بعد الدكتورا.

سنة ٢٠١٠ كان ذوو الهشاشة الوظيفية في الجامعة الإيطالية يعدون ١٢٦١٨٨ ويؤدون أدوارا مختلفة منهم ٤١٣٤٩ أستاذا،و ٢٤٩٣٤ مدربا،و ٢٣٩٩٦ مشرفا،و ١٧٩٤٢ مساعد باحث. على العموم كان ثمة سنة ٢٠١٠، ٢٢٠٠٠ ذي هشاشة وظيفية أقل مقارنة بسنة ٢٠٠٨ مما دلل على وجود اتجاه نحو الانسحاب من الجامعة الإيطالية وعدم الالتزام معها تلك التي عتبر في عنق الزجاجة من دون مستقبل سوى الخوصصة التدريجية.

استخدم وجود مستوى مفضوح من الفساد في الجامعة لا ينكر ولا يسبب إلا الحياء تعلة للهجوم على نظام التعليم العالي برمته وتفكيكه عبر سلسلة من القرارات والإجراءات التنظيمية كان آخرها إصلاح جلميني (Gelmini Reform) سيئ الذكر حامل اسم مبتدعه وزير التربية والجامعات و البحث في حكومة برلسكوني.

| «أنا شبح precariat».

>>

يضع مثل هذا الإصلاح الذي ولد في ظل اقتطاعات مميتة من الميزانية ووقف مؤلم للتقدم الوظيفي كل السلطة في يد المستشارين وكبار الأساتذة برتبة بروفيسور عبر القضاء على أجهزة ديمقراطية من قبيل مجلس الكلية (حيث كان لكل الأساتذة والباحثين المترسمين قول في مسارات صنع القرار) وعبر التقليص من دور المجلس الآكاديمي الأعلى.

تهب ريح أخرى على نظام الجامعة الإيطالية صادرة عن المخصصات الهادفة لإبطال قيمة شهائد الدولة القانونية وهو ما سيثني على الانضمام إلى النظام العمومي أولئك الطلبة الذين بدأوا بعد يخوضون نضالا ضد الارتفاع غير المسبوق للرسوم. إذا ما حظي للقانون بالموافقة في البرلمان فلن تكون الشهائد التي تم الحصول عليها في مؤسسات الدولة الجدية والانتقائية والتنافسية مختلفة عن تلك التي يتم الحصول عليها من أية جامعة خاصة أو افتراضية أو من تلك التي توفر تكوينا حسب الطلب.

كانت شخوص الحركات الطلابية المبكرة للسنوات ١٩٦٨-١٩٧٧ على الغالب من الطلبة والطلبة المناوبين والعاملين وركزت على مطالبهم ولكن حركة الفترة الثانية الطلابية التي كانت خلال السنوات ١٩٩٠، حركة الفهد، بدأت بانتقاد خوصصة الجامعة والنظام التعليمي بصفة أعم لأنه جعل إنتاج المعرفة خادما خنوعا لعالم الأعمال. مرت الحركات الاجتماعية الجديدة التي ترعرعت بعد ما يسمى بإصلاح بالينغوير (Berlinguer) في ٢٠٠٠ بحكومة «تقدمية» زادت من استقلالية الجامعة المالية عبر التخفيض في دعم الدولة للتعليم العالي ومؤسسات البحث ولكن مع دفع الجامعات نحو علاقة عضوية مع عالم الأعمال.

افتتح «الإصلاح» عقدا من الصراعات بدءا باحتلال جامعة روما La Sapienza (الحكمة) في ٢٠٠١ بما أظهر أن السياسات النيوليبرالية لا تتغير تبعا للّون الذي تتخذه الوزارة. تمّ المضي في خوصصة الجامعة العمومية بنفس السرعة من طرف مختلف أنواع الحكومات التي تتموقع في وسط اليسار

«precariat إن مستقبلنا الآن، والحياة لا تنتظر» – واحد من الشعارات الرئيسية لجامعة

وفي وسط اليمين سواء بسواء. تسببت الاقتطاعات من الميزانية في تدني الخدمات المقدمة للطلبة وتقلص الهبات والمنح الدراسية وأشكال أخرى من الدعم المالي وفي ترفيع صاروخي في مبالغ الرسوم. تسبب كل ذلك في احتجاجات وانتفاضة في صفوف طلبة الجامعات وفي ازدهار الجمعيات التعاونية. شهدت حملة تجنيد واسعة في ٢٠٠٨ سميت الموجة رفض الأساتذة المشاركين (المحاضرين) وكبار أساتذة الجامعات برتبة بروفيسور والباحثين تأمين التدريس. وأخيرا توجهت الحركة نحو قضايا شغالي الفكر غير المرسمين في الجامعة عنيتُ ذوي الهشاشة وهم أدنى قوى العمل راتبا ضمن مهن التدريس، من نسميهم lumpen-ricercariat وهم مساعدو المخابر والمعيدون والمترجمون والقراء والمساعدون الذين يمثلون اليوم ذاتا اجتماعية ويشكلون مؤسسة جديدتين.

يتوقع الكثيرون اليوم «١٩٦٨ ثان» ويعنون بذلك حركة جماهيرية ناجحة. والحقيقة أن ما يمكن أن يحدث هو أن تكون الجامعة في ارتباط أكثر عضوية مع حركات اجتماعية أخرى في مواجهة الأزمة عنيتُ حركات العاطلين والعمال الذين فقدوا مناصبهم والغاضبين الذين قالوا لا للنيوليبرالية ووصفاتها للخوصصة وللنمو القسري. إن ما يساوق مثل مشروع الربط هذا بين القضايا المستندة إلى ذات المشكل الجذري هو انخراط العديد من الطلبة والعمال والباحثين والأساتذة في حركة أوسع ضد الهشاشة وعلى الأخص بعد مسيرة ٣٠ مارس- آذار الوطنية (٢٠١٢) في روما وما سيكون من التجنيد العالمي في فرانكفورت (١٦ إلى ١٩ ماي-أيار) .

لمعلومات محينة حول الاحتجاجات يمكن تفحص الموقع التالي:

http://www.ateneinrivolta.org/

(الجامعة في ثورة). يمكن للمرء على هذا العنوان أن يجد وثائق واقتراحات وتقارير اجتماعات وشرائط فيديو وإعلاما. في ذلك تأكيد قوي على قضايا النوع الاجتماعي على اعتبار تعرض النساء للتمييز في الجامعة في ما يخص المسارات المهنية وتدنّي التمثيل في المواقع الآكاديمية وفي مستويات الإدارة العليا. أكثر ما يصيب قرار الحكومة باقتطاع ٢٠ بليون يورو من ميزانية جامعات الدولة سيئ الصيت النساءَ اللاتي يغلب عددهن في صفوف الشغالين هشي الأوضاع، ويلحَق الضرر على الأخص المعاهد الجنوبية والذوات المهمشة مثل ل.س.م ي ج. ثج. ثن (اللوطيين، والسحاقيات، ومزدوجي الميولات الجنسية، وثنائيي الجنس، وثنائيي النوع). ■

الجمعية الدولية لعلم الاجتماع والأمم المتحدة:

الجريمة والعدالة الجنائية

بقلو روزماري باربرت (Rosemary Barberet)، معهد جون جاي للعدالة الجنائية، نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية

شاركت شهرَ أفريل الماضي في الدورة الواحدة والعشرين للجنة الأمم المتحدة حول التوقي من الجريمة والعدالة الجنائية (ل ت ج ع ج) في فيينا بوصفي ممثلة للجمعية الدولية لعلم الاجتماع (ج د ع اج) ذات صفة الملاحظ بوصفها منظمة غير حكومية. أنا أراقب دورات هذه اللجنة منذ عشرة أعوام وأعتقد أن هناك حاجة كبيرة للإضافة السوسيولوجية في الأمم المتحدة عامة. لعلم الاجتماع ولعلم الجريمة الكثير مما يمكنهما وهبه لل ت ج ع ج

ل ت ج ع ج التابعة للأمم المتحدة هيئة مكونة للمجلس الاقتصادي والاجتماعي (م اق اج) الذي أسسها سنة ١٩٩٢. وتتمثل مواضيع عهدتها الرئيسة في:

- العمل الدولي من أجل مكافحة الجريمة الوطنية والدولية بما يشمل الجريمة المنظمة والجريمة الاقتصادية وتبييض الأموال وفي تحفيز دور القانون الجنائي في حماية المحيط.
- التوقي من الجريمة في المناطق الحضرية وجريمة الأحداث والجريمة العنيفة.
- النجاعة والعدالة وتطوير التصرف في أنظمة العدالة الجنسية وإدارتها.

تدعم اللجنة وتشرف وتراجع وضع برنامج الأمم المتحدة للتوقي من الجريمة والعدالة الجنائية وتيسر التنسيق بين نشاطاتها، وتوفر إدارة ملموسة ومنظمة لمؤتمر الأمم المتحدة حول التوقي من الجريمة والعدالة الجنائية الذي يعقد كل خمس سنوات، وتنشط بوصفها الجسم المدير لصندوق الأمم المتحدة للتوقي من الجريمة الذي يوفر موارد تطوير المساعدة التقنية في ميدان التوقي من الجريمة والعدالة الجنائية الذي يشرف عليه مكتب الأمم المتحدة حول المخدرات و الجريمة (م أ م م ج). وتتجسد ل ت ج ع ج في ممثل واحد عن كل ٤٠ ممثل دولة ينتخبه المجلس لعهدة بثلاث سنوات.

تساعد اللجنةَ شبكةُ برنامج الأمم المتحدة للتوقي من الجريمة والعدالة الجنائية المتكونة من عدد من المعاهد ما بين الإقليمية والإقليمية والوطنية الملتزمة بدعم تركيز برنامج الأمم المتحدة للتوقي من الجريمة والعدالة الجنائية (حيث يشارك المعهد الوطني للعدالة في الولايات المتحدة في عمل شبكة البرنامج).

تختص كل دورة بموضوع للنقاش. كان الموضوع هذه السنة «العنف الموجه ضد المهاجرين والعمال المهاجرين وعائلاتهم». الموضوع مُسْتَلّ من «إعلان السلفادور» الذي تولّد عن مؤتمر الأمم المتحدة حول الجريمة لسنة ٢٠١٠ باقتراح من تركيا. كان الموضوع موافقا لوقته تماما هذه السنة حيث وصفت العديد من التقارير الإخبارية التي تم تداولها على نطاق واسع ابتزاز الشرطة لمهاجري أمريكا الوسطى وكذا اختطافهم من قبل عصابات المخدرات في المكسيك، أو موتهم في صحراء أريزونا، وتقديم مارين لوبان أرضية معادية للمهاجرين في الانتخابات الفرنسية الأخيرة، وحالة دفق المهاجرين الوافدين من مناطق انتفاضات «الربيع العربي» حوالي بلدان منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. يتميز الموضوع بالكثير من التقاطعات إذ يرتبط بعمل لجنة الجريمة حول تهريب المهاجرين والمتاجرة بهم ولكن وفي نفس الوقت بالعمل من أجل حقوق الإنسان الذي تتكفل به هيئات أخرى في الأمم المتحدة. ومع ذلك وفيما تربط لجنة الجريمة بين تهريب المهاجرين والعف الموجه ضدهم ذكّر فرانسوا كريبو (François Crépeau) المتحدث الخاص والمقرر حول حقوق الإنسان المهاجر اللجنةَ تذكيرا مهما بأن تهريب المهاجرين كان في بعض الأحيان نشاطا من أجل إنقاذ الأرواح لا ذلك النشاط الذي يؤدي ضرورة

>>

للعنف ضد المهاجرين. لقد ذكرنا أن الشريط كازبلانكا تمحور حول عصابة تهريب أشخاص والكيفية التي بها خلفت انطباعا إيجابيا جدا حول ذلك التهريب. ولكن أين البحث السوسيولوجي من كل ذلك؟

تمثّل دور ج د ع اج في مناشط الأمم المتحدة في الملاحظة وفي مد رئيس ج د ع اج واللجنة التنفيذية بانطباع تفاعلي مع ما يحصل وكذا، متى أمكن ذلك، توفير مساهمات بحثية لأعضاء وفود البلدان. وعلى الرغم من تأكيد اللجنة ومكتب المخدرات والجريمة أن قراراتهما ترتكز على أدلة فإن الخلفية التي يوفرها المكتب وشبكة البرنامج لفائدة لجنة الجريمة تناقصت على مر السنين. للسنة الثالثة قدمت ج د ع اج مراجعة للأدبيات حول الموضوع الرئيس للجنة الجريمة للمساعدة على النقاش. على أعضاء ج د ع اج أن يعوا أن الغالبية الكبرى من أعمالهم في المجلات الآكاديمية لا تصل إلى الجمهور وعليه فإن جعل بحوثنا في المتناول وقابلة للقراءة بالغ الأهمية. تهدف مراجعتنا للأدبيات إلى توفير تلخيص موضوعي لمجمل الأدبيات المكتوبة في الموضوع الرئيس معرفة إيّاه على نطاق واسع ومجسدة إيّاه عبر أمثلة من البحث العلمي الاجتماعي في أرجاء الكون مولية أهمية خاصة لنقائص المعرفة به.

ما التحديات التي تواجه جعل بحثنا متوفرا؟ تنظم الأمم المتحدة توزيع الإعلام بدءا من المنظمات غير الحكومية وصولا إلى أعضاء الوفود تنظيما جيدا. يمكن للمنظمات غير الحكومية أن ترسل تقارير مختصرة وأن تنشر بيانات بعد أن تصادق عليها للجنة، كما يمكنها كذلك أن تباشر أعضاء الوفد للإدلاء بالمعلومات شفويا. ولكن الأمم المتحدة لا تُعرف بكونها منظمة شفافة فيما يهم صناعة القرار فيها. على الرغم من مناقشة القرارات طوال الأسبوع في الجلسة العمومية للجنة الجريمة فإن أغلب المفاوضات تجرى في جلسات لانظامية، مغلقة في وجه المنظمات غير الحكومية. وعلى اعتبار تغير البعثات كل سنة، وعدم توفّر المنظمات غير الحكومية على أية قائمة عناوين لأعضاء الوفود يعسر توزيع المعلومة كما تُحجِم العديد من الوفود على قراءة منشورات المنظمات غير الحكومية. معظم هذه المنظمات ذات صفة الملاحظ في الأمم المتحدة ذات اهتمام مخصوص وقائمة على التعبئة التجنيدية، وهي ليست منظمات علمية ولا مهنية مثل ج د ع اج. يحترس أعضاء الوفود من المنظمات غير الحكومية، وفضلا عن ذلك فإن الاستفادة الأنجع من المعلومة الموزعة من دون حوار ترتهن بإرادة المتلقي الطيبة. وفي حين وزعنا هذه السنة بياننا بالإنقليزية والفرنسية فإنه يكون من المفيد ترجمته إلى كل لغات الأمم المتحدة.

تعتبر لجنة الجريمة هيئة الأمم المتحدة الرئيسة التي تضع مقاييس ومعايير دولية لمؤسسات العدالة الجنائية بما يجعل أعضاء الوفود قادرين على الموافقة على سياسات الحد من الجريمة. يمكن للتأثير في عمل اللجنة بالبحث الآكاديمي أن يذهب بعيدا في اتجاه التأثير في نتائجها. ■

> هل أنت مهتم بالنشر في المنتدى الإلكتروني

بقلم جينيفر بلات، جامعة سوسكس، المملكة المتحدة، نائبة رئيس ج د ع اج للنشر، ٢٠١٠-٢٠١٤

يعلم العديد من أعضاء ج د ع اج أن فينيتا سنها (Vineeta Sinha) تنشر منذ ٢٠٠٥ واحدة من مكاسب عضويتنا عنيتُ المجلة الإلكترونية التي كانت في الأصل تحمل عنوان نشرة ج د ع اج الإلكترونية ثم صارت منتدى ج د ع اج الإلكتروني. عيّن هذا التغيير تحولا نحو حضور بُصَمِيٍّ على الشبكة بحيث يكون هناك تفاعل أكبر مع القراء وكذا إمكانية إدراج مساهمات «غير مكتوبة» مرئية أو مسموعة مثل الشريط المذهل «احتلوا تورنتو: تحرير حول صورة» بقلم زاهر بابر في العدد الأخير.

الآن وبعد أن رأت فينيتا النظام الجديد قائما، حان إمكان خلافة عهدتها التأسيسية المتميزة بمحرر جديد لها. لقد ظهرت تنويعة واسعة من المساهمات المهمة في المجلة ومن الأكيد أن المزيد سيظهر في المستقبل. ربما كانت لكم رغبة في تقلد مسؤولية وضعها وتطويرها أو ربما كنتم تعرفون زميلا يمكن له أن يقوم بالعمل؟ نرحب بالترشيحات لرئاسة التحرير التي تنطلق في جويلية ٢٠١٣. تفضلوا بالاطلاع علىISA web site for how to apply.

صحراء آريزونا: فخ قاتل للمهاجرين

بقلم أمين فيدان ألسيوغلو (Emine Fidan Elcioglu)، جامعة كاليفورنيا، بركلي، الولايات المتحدة الأمريكية.

كان عليّ في اللحظة التي أستمع فيها إلى تكتكة الكاميرا أن أنطلق كالسهم، كاتما صوتي. لازمتني رائحة الجثة المتحللة طوال باقي اليوم. كانت الصورة التي التقطتُ لوحدة التبريد في مكتب الفحص الطبي في تاكسن، آريزونا. كانت الحقائب البيض تحوي عشرات من بقايا مهاجرين من دون وثائق، رجالا ونساء وأطفالا وافتهم المنية في «صحارى جنوب آريزونا القاتلة» لدى محاولتهم العبور إلى الولايات المتحدة.

يلتقط المصور تفاعل الدولة مع ساكنة «غير مرغوب فيها» حية وميتة. أبعدت العسكرة المنهجة للحدود منذ أواخر ١٩٩٠ المهاجرين من دون وثائق عن المناطق الحضرية إلى أراض معزولة وغير صالحة للعيش مثل صحراء آريزونا. إذا ما تمكن العابرون من البقاء على قيد الحياة وبلوغ أهدافهم فإنهم يظلون «محبوسين» في الولايات المتحدة: غير قادرين على زيارة أحبائهم في بلدانهم الأصلية باعتبار مخاطر إدراكهم أو موتهم في الصحراء. وفي ذات الوقت، يعتبر وجودهم في الولايات المتحدة غير شرعي ويتهدد حياتهم اليومية الترحيل والانفصال العائلي.

ولكن إذا ما مات المهاجرون فإن الدولة تدعهم بحيث «يبقون» عمليا في الولايات المتحدة. تَحمِل جثثهم دورية من أعوان الحدود في شاحنة ذات عجلات أربع إلى مكتب الفحص. هناك تفحص بدقة

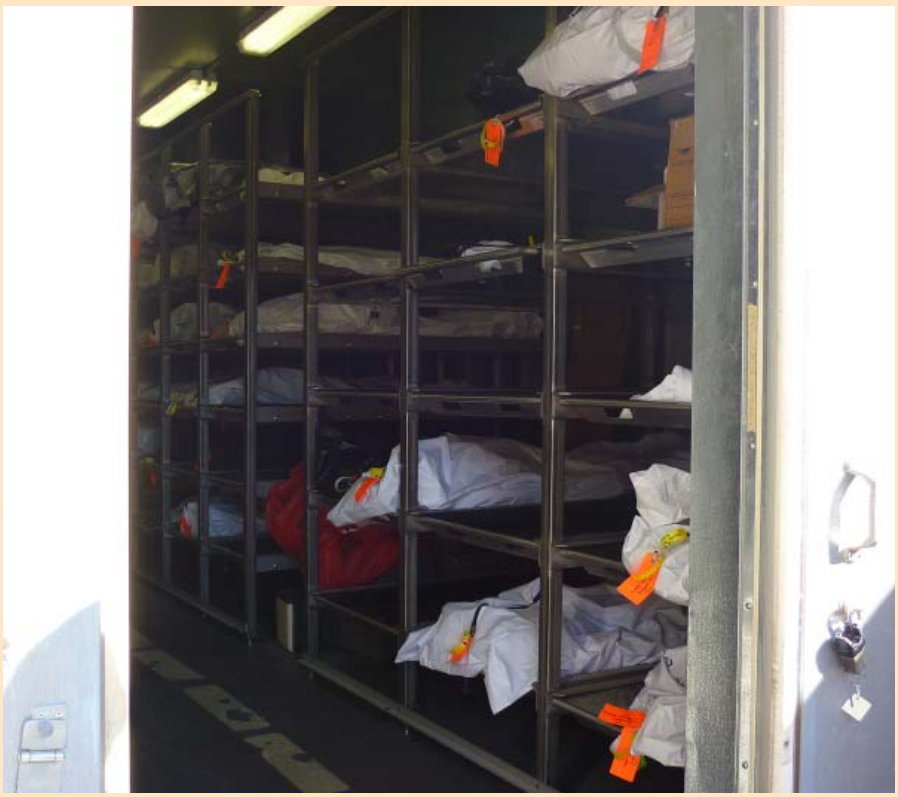

متعلقات البقايا الشخصية من أجل تحديد العلامات وتخضع جلودهم المحنطة إلى تصوير أوشامها بالأشعة ما تحت الحمراء كما تفحص بنى الأسنان والعظام عندهم بهدف تحديد إمكانية استخدامها في جراحة الأعضاء المزروعة فضلا عن تحديد مظاهر أخرى مميزة. تتبادل أدنى معلومة مع القنصليات الأجنبية والمنظمات الإنسانية التي يمكن أن تتصل بالعائلات التي افتقدت بعض أهلها. في الأثناء تُعَيَّنُ البقايا بأسماء خفية مثل «جون» و«جين دو» وأحيانا «جون-جين دو» عندما تكون البقايا متحللة بمفعول الصحراء إلى الحد الذي يتعذر فيه تحديد النوع، ثم تودع الثلاجات. تنفق الدولة بسخاء في نقلها وتخزينها ومعالجتها وفي حالة عدم التعرف عليها في دفنها برعاية شرطة جنائزية متعاقد معها في الجزء المخصص من مقبرة المحلية. ما لم تنفق فيه الدولة موارد هو التوقي من كل هذه الميتات الجماعية. ■